

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْتَلَمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

صاحب الرضا

ورئيس التحرير

سيد رمضان

الإدارة :

٣٢ شارع المنيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة

٦٠ عن نصف سنة

للطلاب وجنود الجيش

٨٠ عن سنة كاملة

٤٠ عن نصف سنة

٢٥ عن ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة

البريد خارج القطر

أغسطس سنة ١٩٥٣

ذو الحجة سنة ١٣٧٢

رَكَائِزُ السَّلَامِ

هذه وفود الحجيج تلتقي حول بيت الله العتيق .

وهذه أنحاء مكة وشعابها تتجاوب بينها أصداء الهتاف القدسي الجميل : لييك

اللهم لييك . . .

وإن هي إلا أيام حتى يندفع هؤلاء صوب « عرفة » حيث يقفون من الأصيل
إلى الغروب داعين ملحين ، ثم يفيضون إلى المشعر الحرام ، ثم إلى منى ينحرون
ويرمون الجمار ، فإذا قضوا مناسكهم رجعوا إلى أوطانهم ويوتهم حيث يُستقبلون
بالتهنئات والزغاريد . . .

أهذه كل فريضة الحج ؟

ألهذا دعا الله عباده فتوافدوا إلى بيته الحرام من كل فج عميق ؟

إن الدعوة حين تصدر عن الله لا تصدر إلا لأمر خطير ، وإن الفريضة التي يمضيها الله
على عباده لا يمضيها ليقنعوا من حكمها بظاهر ضحل رتيب . وحرام أن يصير الإسلام العظيم
في أيدينا إلى ما نراه من صور باهتة لا تكاد نحس فيها بعرق ينبض ، وإلى حياة شائبة
عرجاء ، لا تعرف لها سمتا ولا غاية ولا فلسفة ، هذا إذا جاز أن نعد أنفسنا من الأحياء !!
أسأنا أداء الصلاة . . . حتى قال من يدعى شيئا من العقل لماذا أصلي ؟ وجهلنا حكمة
الحج « حتى قال لماذا أحج ؟ . . . ولم يبق — وقد وهت وشانج الأنفس بالحق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي
ستة عشر أعداد

صاحب الارتياز

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

أغسطس سنة ١٩٥٣

ذو الحجة سنة ١٣٧٢

رَكَائِزُ السَّلَامِ

هذه وفود الحجيج تلتقي حول بيت الله العتيق .
وهذه أنحاء مكة وشعابها تتجاوب بينها أصداء الهتاف القدسي الجميل : لييك
اللهم لييك . . .

وإن هي إلا أيام حتى يندفع هؤلاء صوب « عرفة » حيث يقفون من الأصيل
إلى الغروب داعين ملحين ، ثم يفيضون إلى المشعر الحرام ، ثم إلى منى ينحرون
ويرمون الجمار ، فإذا قضوا مناسكهم رجعوا إلى أوطانهم وبيوتهم حيث يُستقبلون
بالتهنئات والزيارات . . .

أهذه كل فريضة الحج ؟

ألهذا دعا الله عباده فتوافدوا إلى بيته الحرام من كل فج عميق ؟

إن الدعوة حين تصدر عن الله لا تصدر إلا لأمر خطير ، وإن الفريضة التي يمضيها الله
على عباده لا يمضيها ليقنعوا من حكمتها بظواهر ضحل رتيب . وحرام أن يصير الإسلام العظيم
في أيدينا إلى ما نراه من صور باهتة لا تكاد تحس فيها بعرق ينبض ، وإلى حياة شائمة
عرجاء ، لا نعرف لها سمتا ولا غاية ولا فلسفة ، هذا إذا جاز أن نعد أنفسنا من الأحياء !!
أسأنا أداء الصلاة . . . حتى قال من يدعى شيئا من العقل لماذا أصلى ؟ وجهلنا حكمة
الحج « حتى قال لماذا أحج ؟ . . . ولم يبق - وقد وهت وشانج الأنفس بالحق

أو انهارت - إلا أن يقال : لماذا الصوم والزكاة ؟ - وقد قيل - ؛ وانحسر الإسلام العملاق في هذه الأذهان السقيمة عند الشهادتين ، وحتى هذه لا يكاد يشرق منها على قلوبهم نور ، فهم يشهدون بالسنتهم أن لا إله إلا الله ، ولكنهم يعبدون في الحقيقة كل هوى من دونه ، وهم يشهدون أن محمداً رسوله ، ولكنهم ينتهجون في الواقع غير منهاجه ، بل إن منهم من يخالج نفسه الإعجاب والتقديس لأعداء دعوته ومتهكى حرمت دينه ! . حرام والله هذا وخيانة ! وخير للإسلام أن نبريء ساحتها من نسبتنا إليه ، إذا لم نكن قادرين على حمل أمانته وأداء حقوقه !! خير له أن يبرأ من أضرارنا وسوء فهمنا لياخذ طريقه سهلاً إلى عقول جديده أقدر على فهمه ، ولتقوم حجته من صريح أحكامه غير منازعة بما نحن فيه من كذب واقتراء عليه !!

أكاد أجزم أن فريضة الحج هذه ، وهي واحدة من فرائض الإسلام ، لو أنها عُرضت على النصفين من عقلاء هذا الجيل في الدنيا بأسرها ، الجيل الذي حطم بعلمه الذرة وروض بعض قوى الكون وانحط - في الوقت ذاته - بفكره وروحه إلى خلق الغابة ، يلتمهم قوية ضعيفه ، لطالع فيها صفحة من منهاج قد يستوعب معاني النفس الإنسانية في شعائر لا يمكن أن يشرعها بشر ، ولوجد فيه ركائز لبناء « السلام » الذي لم تزل تحلم به الأجيال المعذبة منذ قرون . . .

يبحث الناس عن السلام (١) . . .

وصفحات التاريخ مملوءة بمحاولات السلام ، ومؤتمرات السلام ؛ وطلابنا لا يزالون يدرسون ميثاق بريان كيلوج ، وبرتوكولات جنيف ، وميثاق هيئة الأمم . . . ولكن الدنيا بالرغم من ذلك لا تسير من حرب إلا إلى حرب . . . وهي ذى تقف على شفا جرف هار يكاد ينهار بها في أتون حرب عاتية !!

أين هذا السلام ؟

ولماذا فشلت كل محاولات السلام ؟

إنك لتجد جواب ذلك كله في الأساس العميق الذي ترسيه يد الإسلام ؛ فإن السلام ليس ثوباً يضاف على الإنسانية من خارج ، ولكنه حالة تسود حياة الناس حين يسلم الإنسان من شر نفسه فتصبح نفسه سلاماً عليه ، وهذه أولى ركائزه التي يقيمها « الحج » في جمال وروعة ، فهو توبة يغتسل بها الحاج من كل ذنبه ، ويفر بها إلى الله في ندم

وشوق ، ويطوف بها خاشعاً حول البيت ، ويهتز بها داعياً ملحاً عند الملتم ، ويقف بها متشبثاً برحمة الله على عرفة ، وتطوى بها نفسه وتنتشر أثناء المناسك جميعاً ، حتى إذا قضاها رجع كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج إلى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ، ويفتح الله له أبواب الرحمة على مصاريحها « الحجاج والعمار وفد الله : إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم » حتى إن الحاج ليأثم إذا أفاض من عرفة ونفسه يساورها خاطر من الشك في أن الله قد غفر له !! ما أجمل أن يجد الإنسان هذه الرحمة تمد أكنافها حوله ، وما أروع أن يكون للإنسان موئل يسكن إليه إذا آده الذنب وأثقلته الخطيئة : موئل لا يحتكره تاجر يبيع صكوك المغفرة أو يتاجر بالمقدسات ، ولكن إله عادل رحيم يمد يده إلى كل مقبل عليه ؛ وما أنصر وأزكى أمة توفد إلى بيت الله كل عام هذا العدد الضخم من أبنائها ليعودوا إليها أطهاراً أبراراً قد وصلوا ما بينهم وبين ربهم وأقبلوا على مجتمعهم إقبالاً جديداً يزكي فيه مشاعر الطهر والرحمة

وإن الحج حين يرسى هذه الركيزة النفسية في مشاعر الناس ، يفجر بذلك أصدق ينبوع لعاطفه السلام ، ويقيم أيقظ حارس على ركائزه جميعاً ؛ فإن الناس لم يضلوا خلال العصور عن خبل في العقل أو عوز في الرأي ، وها قد رأينا مؤتمراتهم وموائيقهم ، وإعما أضلهم — على علم — خبل في الضمير وعوز في المشاعر النبيلة ، وطغيان الأهواء من كل نوع على الوازع الإلهي العميق في النفس : الوازع الذي يمسكها من جذورها على معنى الحق ، ويؤجج فيها النار إذا حادت عن طريقه ، والذي إن غاب لم تقم مقامه قوى الأرض مجتمعة ، واستتبع غيابه غلبة الهوى وتفلت الزمام ، وصدق الله العظيم : « أغفلنا قلبه عن ذكرنا : واتبع هواه : وكان أمره فرطاً » .

ولكن يقظة النفس لا تكفي وحدها إذا لم تروض الجوارح على الانصياع لحاظر الخير ، فإن للشر فتنة ، ولا يزال في النفس استعداد للزلل إذا أفلت زمامها ، وهي بين الخير والشر في معركة دائمة يصطارع بين جنبيها جنودها « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » وإعما يظفر الخير بمقدار ما ينجح الإنسان في ضبط نفسه وجوارحه « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ، لذلك كان من مهمة الحج أن يقر الركيزة الثانية بعد الأولى ، وهذه الثانية هي ترويض الجوارح على معنى السلام الذي ابتعته من قرارة الأنفس بالركيزة الأولى ، فإذا أحرم الحاج حرم عليه أن يقص ظفراً

أو شعرا أو يقتل صيدا أو يرفث أو يفسق أو يجادل « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » ، فهو سلام على كل ماحوله ، وهو في هذا التدريب العملي جندي لله لا يملك أن يخالف أمره ، فإن أخطأ فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك ، وكلها عقوبات تقتضى بذل جهد أو مال ينال من حاجات البدن الذى يعنى الحج بترويضه بل إن منطقة المناسك تكاد تكون معسكرا لقوات خفيفة الحركة بين عرفة والمزدلفة ومنى ، ففي أقل من ساعتين تنتقل مئات الألوف من عرفة إلى المزدلفة ، ثم من المزدلفة إلى منى بين الفجر والضحى . . . ، والحاج فى كل ذلك مطالب أن يبذل مجهودا بدنيا فيه مشقة ، حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم يُسأل : لماذا لا تبني فى منى بيوت للحجيج بدل الخيام فيرفض ويقول : « هى مضرب لمن سبق » وهو جواب يحمد فيه « العسكرى » حاجته

* * *

ولا تقف فريضة الحج عند هذا الحد ، بل إنها تشد معنى السلام إلى ركيزة ثالثة لا بد منها ، تلك هى إلغاء الحدود العارضة الموهومة بين الإنسان والإنسان ، فمطلع مناسك الحج الإحرام ، ومعناه أن يلبس الحجاج جميعاً ثوباً واحداً بسيطاً يلغى فوارق المظهر فى أعين الناس ، حتى يراقبوا عين الله وحدها التى تزن الناس بميزان آخر من معانى الحق والخير ، وحتى يؤلف بينهم شعور واحد بأن الذى يقربهم من الله أو يبعدهم عنه هو حقائقهم فى صدورهم لا أثوابهم التى يلبسونها على دخل ، وفى ذلك إبطال لزيف الحياة الذى يصنع الجريمة ويمكن لها ، وإلغاء لفوارق الزى بين قطر وقطر : هذه الفوارق التى ألقت مواكب البشرية أن تحس فيها فوارق بين جنس وجنس ، وأمة وأمة ، ووطن ووطن ، فى المتمدن والخصائص وما إليهما ، وراح كل من هؤلاء يتعصب لنفسه ، ويدور حولها ويقصر التاريخ لحسابها ، ويجند القوى لتعزيز حدودها ، ثم لتوسيعها باسم الخصائص التى توهمها واعتد بها ، وهكذا استحوالت الشعوبية والقومية والوطنية إلى ألوان من الوثنية لا يمكن أن يقوم معها محراب واحد يلتقى عنده الناس ، إلى أن جاء الإسلام ليطارد هذه الفوارق جميعاً ، ويقتحمها إلى حيث يخاطب الناس كلهم خطاباً واحداً : « يا أيها الناس » ، ويجمعهم تحت لواء واحد : « يا أيها الذين آمنوا » ، وهى وحدة لا يحكمها إلا المثل الأعلى ، ولا يجد غير المؤمن فى ظلها إلا العدل والرحمة ، مادام كفره لا يخرج به إلى غدر أو عدوان ؛ وفى ظل هذه الوحدة تنقطع أكثر أسباب الحروب ، لأن الشعوبية والقومية والوطنية التى تثير عصبيتها بعض الناس على بعض ، لن تجد لها مكاناً إلا بمعنى واحد : هو أن يعتز الإنسان بما فى شعبه أو قومه

أو وطنه من فضائل ، ويجندوها لخدمة رسالة المثل الأعلى الواحدة لكل الناس ، وبهذا يصبح الحق ، هو الوطن الأول الذي يتعصب له ، ويؤثره على سواء ، وقد رأينا كيف قام المجتمع المدني الأول بعد الهجرة ، ولم تكن الهجرة إلا إعلاناً صريحاً بأن « الإسلام » كان أعز على نفس محمد من مكة ، ومكة هي هي : أم القرى وبلد البيت العتيق ؛ ثم رأينا كيف كافأ صلى الله عليه وسلم « المدينة المنورة » التي نصرت دعوته بالحيا والمات ، وقال لأهلها : « الحيا محياكم والمات مماتكم » وجعل أن نستمر هنا فترقب أثر وطنية العقيدة في معاملة النبي لأهل مكة الذين طاردوه وأصحابه ثلاثة عشر عاماً طوالاً ، وقتلوه من بعد مضميرين إفناء وإفناء دعوته ، وزاه — وهو يدخل مكة ظافراً منتصراً — يعزل حامل لوائه حين علم أنه قال : « اليوم يوم الملحمة : اليوم أذل الله قريشا » ، ويأمر صلى الله عليه وسلم منادياً ينادى : « اليوم يوم الرحمة ، اليوم أعز الله قريشا » ثم يقول للناس : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ولا ينال من جلال هذا البرهان على أثر وطنية العقيدة ، بل يمكن له ، ما قد يقال من أن الرسول فعل ذلك استجابة لعاطفته نحو مكة وقومه فيها ، لأن معنى ذلك أن القومية وجدت مكانها آمناً في حجر العقيدة ، ووجدته بعد أن انتصرت العقيدة ، وحيث تجيزه أحكام هذه العقيدة . وما أجمل أن نذكر هنا كيف ضرب الرسول قبته بعيداً يوم الفتح ، ورفض أن يدخل البيوت ، ولم يخرج منها إلا للصلاة في البيت الحرام ، ولم يدخل فيها بيتاً غير بيت الله ! !

هكذا يجمع الحج المسلمين جميعاً على اختلاف ألوانهم ولغاتهم تحت لواء واحد . ويؤكد هذه الوحدة مرة أخرى أن يختار الله للحج وادياً غير ذي زرع عند بيته المحرم ، ليصرف عن القيم العالية كل صارف من فتنة السكان ، ويتجرد الحجاج للهدف الواحد « ربنا ليقموا الصلاة » ، ولا يكون إقبالهم إلا بأفئدة تحب الخير : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » .

ومما تثبت به « وطنية العقيدة » في النفوس ما يردده الحجاج بعد التلبية « إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »

ويتم الحج إرساء قواعد السلام بالركيزة الرابعة ، وتستطيع أن تكتشفها وأنت تنظر إلى الحجاج وهم يرمون الجمار ، رمزا إلى رمى الشر والشيطان ، وهذا فضلا عن أنه توحيد لمعركة الحياة : أي أن الشر والشيطان هما هدف سهم المسلم ، لا يفتنه عن ذلك شهوة ولا حمية ولا زينة الحياة الدنيا ، وبذلك ينقذ الحج فكرة السلام من نوازع الهوى ؛ فهو كذلك يحمل معنى جليلاً هو أن الشر لا يكبح بالخطابة والدعاء ، ولكن

بالرحى والجهاد ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوياً حين برحى حتى يظهر بياض إبطه المبارك ، وهكذا يسلح الحج فكرة السلام » فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله » ، وهذا أحدث ما أدركته العقلية الدولية في « السلم المسلح » ، ولكنه سلاح وراءه سلاح آخر من التجرد للحق . . . وراءه الإسلام !

إن الإسلام بهذه الركيزة الأخيرة يجابه الحياة والأحياء بما يقتضيه واقعها القائم المرير لا بما يطير به شعر الشعراء وأحلام الفلاسفة . . . إنه وقد قدم دعوة الحق سافره معلنة ، وعالج لها الأنفس والعقول والأوضاع بأحكام مقررة ، لا يسعه إلا أن يقدم « معها » سيفه البتار ليقطع به كل يد تمتد إلى الحق بعدوان ، أو تضع في طريقه العراقيل. ومن واجبه الحتم أن يبقى سيفه مرهفا ماضيا لأن للباطل شره وزوه وتربصا لكل سائحة « ود الدين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » ويخطر بالبال هنا كلمة أبي هريرة رضى الله عنه وأرضاه حين فزعت المدينة ذات ليلة فخرج الناس فلم يجدوا شيئا فانصرفوا ، إلا أبا هريرة لزم مكانه حتى يستوثق ، فسئل عما أوقفه ، فأجاب بقوله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود » ! !

فإذا أضفت إلى ذلك معنى النحر والفدية في مناسك الحج ، وذكرت ما كان من إبراهيم مع ولده عليهما السلام ، وكيف هم بذبح ولده ابتغاء مرضاة الله ، تأكد مع ركن الكفاح في سبيل الحق واجب التضحية بكل ما يعز على النفس حين يدعو الداعي

هذه هي ركائز السلام الأربع كما تقرها فريضة الحج :

سلامة الأنفس .

وضبط الجوارح .

ووطنية العقيدة .

والكفاح في سبيل الحق .

أليس حقا إذا ما يستقبل به الحاج بيت الله الحرام أول ما يلقاه فيقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام »

أو ليس حقا كذلك أن تقول : « لا سلام إلا إذا أسلم الناس لرب العالمين ، ولن يعتدل ميزان الحياة في الأرض إلا إذا قام عليه المسلمون » ؟ ؟

سعيد

الحج

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ — انتهينا في المقال السابق إلى لزوم الجامعة الإسلامية إن أردنا تنفيذ أحكام ديننا ، واتباع أوامر ربنا ؛ وحمل العالم على الاعتراف بوجودنا ، وكنا وعدنا القارىء الكريم بالبحث في طرق تحقيق الجامعة في عصرنا ؛ ولقد طالعنا من بعد ذلك شهر ذى القعدة أحد الأشهر الحرم ، وأحد أشهر الحج التي قال فيها الله سبحانه وتعالى : «الحج أشهر معلومات» فحق علينا أن نقول كلمة في الحج ذاكرين مناسكه كما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما جاء عن الصحابة الأكرمين الذين نقلوا إلينا علم الرسول ، ونقلوا إلينا أفعاله في الحج ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «خذوا عني مناسككم» . ونحن إذ نتكلم في الحج لا نبتعد عن الكلام في الجامعة الإسلامية ؛ لأن الحج هو الشعار العلم بوحدة الجامعة الإسلامية ، وهو السبيل لتعرف المسلمين أحوال المسلمين في كل البقاع الإسلامية ، وهو المؤتمر الإسلامي الجامع إن أحسننا الانتفاع بهذه الشعيرة القدسية ، وتلك الفريضة المحسنة ؛ فالحج شعار الوحدة الجامعة ومظهرها ، وأسهل طرق تحقيقها ؛ لذلك نتكلم فيه ونحن بصدد الكلام في الجامعة الإسلامية .

٢ — كتب الله سبحانه وتعالى فريضة الحج على كل مسلم ومسلمة إذا كانا قادرين عليه مستطيعين له ، فقال تعالى : «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» وقد تكلم العلماء في ذكر الاستطاعة في الحج مع أن كل الفرائض الإسلامية لا يجب أداؤها إلا على القادر عليها ؛ فقالوا إن الاستطاعة ذكرت في الحج لأنه مشقة وجهد متواصل وهو في أغلب أحواله سفر طويل شاق مجهود ، فكان ذكر الاستطاعة أمراً لا بد منه لما يحتاج إليه من 'جُهد في الجسم ، وإنفاق من المال وبذل وعطاء ، وانقطاع عن كل أسباب الرزق أمداً قد يكون طويلاً .

ولقد قرر العلماء لهذا أن الاستطاعة تقتضى قدرة جسمية على تحمل مشاق الحج ، وقدرة مالية على الإنفاق في السفر إليه ، والتصدق الواجب في مناسكه .

وإن القدرة المالية في الحج توجب أن يكون لديه مال يفيض عن حاجته وحاجة من تجب عليه نفقته من أهله وذريته وغيرهم من ذوى الرحم ، ولا يصح أن يحج امرؤ بمال يقتطعه من حقوق هؤلاء فإن ذلك إثم ، ولا يصح أن يؤدي الحج بذرائع من

الآثام ، ولقد قال عليه السلام : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » وإن الحج كما يقرر العلماء واجب على التراخي ، والإنفاق على المحتاج من الأقارب واجب على الفور ولا يقدم الواجب على التراخي على الواجب على الفور .

ولقد نص المالكية على أنه إذا كان للشخص تجارة وربحها على قدر كفايته وكفاية عياله ومن تجب عليه نفقتهم ولافاضل من الربح يحج به فإن الحج لايلزمه ، ولايجب عليه أن يقتطع من رأس المال ما يحج به ؛ لأن الحج إنما يجب في الفاضل من الكفاية ، وبضاعته أو رأس ماله أساس في كفايته .

٣ — وإذا كان الشخص عاجزاً في جسمه ولا ترجى له قدرة من بعد ، وكان في ما له فضل وسعة ، فقد قرر الشافعية والحنفية وكثيرون من فقهاء التابعين أن الوجوب ينتقل من الشخص إلى المال ، فلا يحج بنفسه ولكن يرسل من يحج عنه ، ويكون من يحج عنه نائبه في ذلك الاجتماع المقدس الذي باركه رب العالمين . ولقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قالت له امرأة في حجة الوداع : « يا رسول الله إن فريضة الله في الحج قد أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الرحلة أفأحج عنه ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « نعم » وبهذا يتبين أن هذه العبادة الاجتماعية واجبة على النفس وفي المال ، فإن عجز الشخص استقر الوجوب في المال ؛ ولذلك يقول الفقهاء إن الحج فريضة في المال والنفس معاً ، ولذا لا يقبل السقوط عن غنى .

٤ — ولقد اقتصت المرأة بقيود في الاستطاعة لم تكن في الرجل ؛ وذلك لأنها أعجز عن السفر والرحيل ، والبيت وواجباته يقيدانها بقيود لم تكن في الرجل

لذلك كان من استطاعة المرأة للحج أن يكون معها ذو رحم محرم منها يصاحبها في السفر لأداء الفريضة أو زوج ، فإن لم يكن زوج ولا ذو رحم محرم ، فإنها تعتبر غير مستطاعة ، فإن سافرت من غير واحد من هؤلاء كانت عاصية بهذا السفر ، فيكون ثواب الحج قد شابه ذلك العصيان . وإن المرأة عليها حقوق لأولادها الصغار ، ولزوجها . وهي حقوق واجبة في الحال لا تراخي فيها ، وعبادة الحج ليست واجبة في الحال ، والحقوق العاجلة مقدمة على الحقوق القابلة للتأجيل ، فإذا كان لها أولاد استحقوا حضانتها ؛ إذ لا حاضن لهم سواها ، فإنها تعتبر غير مستطاعة للحج حتى يستغنوا عنها ، وإذا كان لها زوج فخفه مقدم على الحج إذا كان حج التطوع باتفاق الفقهاء ؛ لأن حق الزوج بمنزلة الفرض ، والتطوع نافلة ، والفرض مقدم على النفل كما هو مقرر في الشرع والعقل ، ولكن إذا كان الحج هو الفرض ، ووجدت ذا الرحم المحرم ومنعها الزوج ، أيعتبر هذا المنع مسوغاً لها في التخلف إذ لم تكن الاستطاعة حيث لم يأذن

الزوج ؟ قال بعض الفقهاء ذلك ، واعتبر حق الزوج مقدما على حقها في أداء الحج ؛ لأنه عاجل ، والحج يقبل التأجيل ، وقال بعض الفقهاء لها أن تسافر للحج مع ذي الرحم المحرم ولو لم يأذن الزوج ، ولا تسقط نفقتها في مدة سفرها ، ولكن تكون النفقة الواجبة نفقة الحضر ، لا نفقة السفر .

٥ — والحج المفروض يكون مرة واحدة في العمر ؛ لأن الآية الكريمة التي تلونها لا تفيد وجوب التكرار ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » فقال رجل كل عام يارسول الله . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قالها ثلاثا ، ثم قال : « لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم ، ثم قال عليه السلام : ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم ، واختلافهم . فإذا أمرتكم بأمر فأتوا به ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .
والحج الفرض وجوبه على التراخي ، فالعمر كله وقت له ، ولا يأثم بتأخيره ، ولكن يستحب التعجيل ، وكما تقدمت السن كان التعجيل أحب ، حتى لقد قال عبد الرحمن بن القاسم من أصحاب مالك : « إن من أخره إلى ما بعد الستين يكون في حرج إذ يتضيق عليه الخطاب »

مواقيت الحج

٦ — تبين من هذه الخلاصة الموجزة أشد الإيجاز وجوب الحج ، ومدى هذا الوجوب ، والحج كما قرر العلماء اتجاه بالقلب والجوارح لزيارة بيت الله الحرام ، والوقوف بعرفة ؛ فله أركان ثلاثة أولها الإحرام ، وهو من الحج بمنزلة تكبيرة الإحرام من الصلاة ، لا يدخل المصلي في صلاته إلا إذا كبر ناويا الصلاة ، وكذلك لا يدخل الحاج في حجه إلا إذا أحرم ناويا القصد إلى بيت الله العتيق ، والوقوف بعرفات حيث الاجتماع المقدس في ظل الرحمن الرحيم .

والركنان الآخران هما الطواف بالبيت العتيق ، والوقوف بعرفات .

وإن الإحرام الذي هو الركن الأول من أركان الحج ، له ميقاتان من الزمان ، وميقاتان من المكان . أما الميقاتان من الزمان فهو أن يكون الإحرام في أشهر الحج ، وقد اتفق العلماء على أن من أشهر الحج شوالا ، وذا القعدة ، والعشر الأولى من ذي الحجة ، وإن هذه الأشهر هي التي تؤدي فيها أركان الحج ومناسكها ، ولا يصح الإحرام قبلها عند الشافعي وأحمد ، وقد اتبع في ذلك بعض الصحابة وخالفوا الإمامين أما حنيفة ومالك وحجتهم في ذلك فعل الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال

«خذوا عني مناسككم» وقوله تعالى بعد ذكر أشهر الحرم : «فمن فرض فيهن الحج فلارث ولا فسوق ولا جدال في الحج» فاعتبر فرضية الحاج على نفسه مناسك الحج أينما يكون في دائرة هذه الأشهر ، ثم إن الإحرام بالحج كنية الصيام لا تكون قبل شهر رمضان فكذلك الإحرام بالحج لا يكون قبل أشهره ، لأنه يكون قبل وقته ، وليس كل عبادة وقت معلوم ؛ فلا تصح عبادة في غير وقتها المحدود لها .

واعلم حجة الإمامين الجليلين أبي حنيفة ومالك في تسوية الإحرام قبل أشهر الحج واستمراره إليها وصحة الحج بذلك أن الإحرام نية مستمرة ، وحال ثابتة دائمة لها مظاهر من الجوارح فمن أحرم قبل الأشهر واستمر على الإحرام مصرّاً عليه متوجّهاً بقلبه إلى رب البيت والمشعر الحرام ، فإحرامه قائم في الأشهر فيكأنه أنشأه فيها .

٧ — هذا هو ميقات الزمان للإحرام ، أما المكان ، فإن مكانه بالنسبة للقادمين على مكة أما كن تحيط بالحرم المقدس وحله من أقطاره من الشرق والغرب والشمال والجنوب بقدر واحد ، وكأنها الصّووى والأعلام التي تشعر القادم أو تنبهه إلى أنه مشارف للوادي المقدس ؛ وقد طوى الأرض إليه ، وكأن هذه الأماكن مشارق النور المنبعث من بيت الله العتيق ، أول بيت وضع للعبادة في هذه الأرض .

وقد ذكر الرسول تلك الأماكن بنواحيها وهي قرية ذي الحليفة من جهة المدينة ، والجحفة من جهة الشام وهي تقرب من قرية رابغ وفي خطها بالنسبة للبيت ، وموازاتها بالنسبة لحرم الله المقدس ؛ وجبل قَرْن من جهة نجد ، وذات عِرْق من جهة العراق . فهذه المواقيت أو الأعلام المشعرة بالقدوم على الحرم المقدس هي مواقيت الإحرام بالنسبة للمقبل بمن وراءها من الآفاق ؛ يحرم عندها أو في موازاتها ، فأهل مصر يحرمون عند الجحفة أو ما في موازاتها فيحرمون عند رابغ إذ يمرون بها ، وهي في موازات الجحفة .

٨ — ويجب أن يعلم أنه ليس ما بين البيت وتلك المواقيت هو الحرم ، فإن هذه المواقيت ليست حدوداً للحرم المكي ، ولكنها أبواب لما يشارفه ، ولذلك يسمى ما في داخلها إلى مكان يقال له التنعيم وما في موازاته — حلا ، وما بعد التنعيم هو الحرم . وعلى ذلك يقسم العلماء أماكن الإحرام بالنسبة لإقامة الحجيج إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول — ميقات الآفاقيين ، وهم الذين قد جاءوا من بلاد ليست داخلية في الحل ولا في الحرم أي فيما وراء الجحفة وغيرها من الأماكن التي حدثت مشارف للحرم المقدس ، وأولئك ميقاتهم تلك الأماكن التي ذكرناها آنفاً .

القسم الثاني — ميقات أهل الحرم ، وهم سكان مكة وما حولها إلى التنعيم وما يوازيها ، وأولئك ميقاتهم للحج من الحرم نفسه ؛ وإن الحرم يحده بثلاثة أميال من جهة المدينة ، وعشرة أميال من جهة جدة ، وسبعة أميال من جهة اليمن ، وتسعة أميال من جهة الجعرانة ، وأحد عشر ميلاً من جهة عرفة ، وسبعة أميال من جهة العراق ، وهذه المسافات وضعت عليها أعلام ، وابتداء تلك المسافات من مكة ، وعلى ذلك لا يكون الحرم مكو نادائرة منتظمة متساوية في بعد قوسها عن مركزها .

والقسم الثالث — ميقات أهل الحل ، وهم الذين يقيمون بين المواقيت السابقة ، وبين الحرم ، وسميت أرضهم حلاً ، لأن الحجاج يتحللون فيها من الحج غالباً . وميقات هؤلاء هو الحل الذي يقيمون فيه .

٩ — والإحرام كما قلنا هو نية الذسك ، ولا بد أن تكون النية مصحوبة بأحد أمرين أولهما — ذكر الله تعالى جاهراً ، ويسن أن يكون ذكر الله تعالى بلفظ التلبية المأثور وهو « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والمآل لا شريك لك » ثانيهما — تقليد الهدى : أى إشعاره بأنه هدى الحج يذبح له ولكل واحد من الأمرين موضع يلزم فيه ؛ وإن كانت التلبية سنة في كل الأحوال من غير تقييد بحال دون حال .

١٠ — ونية الحج قد تقترن بنية العمرة ، وهى الطواف بالبيت الحرام ، وربما لا يقترن بها ، ولذا يقسم العلماء الإحرام بالحج إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أفراد ، وهو أن يفرد الإحرام بالحج ؛ ولا يجمع معه العمرة في أشهر الحج من عامه هذا الذى يحج فيه ، بل إذا أراد العمرة ، أفرد الإحرام بها في غير أشهر الحج ، أو في أشهر الحج من غير أن يحج .

القسم الثاني : تمتع ، وهو أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ، وبعد أن يؤديها في تلك الأشهر يحرم بالحج من الحرم كأهل الحرم ، وقد يتحلل بنسك بين العمرة والحج إذا لم يكن قد ساق الهدى عند إحرامه .

القسم الثالث : القران ، وهو أن يجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد ، أو يحرم بالعمرة في أشهر الحج ، وقبل أن ينتهى من أعمالها يحرم بالحج ، فيكون جامعاً بينهما في إحرام واحد في الجملة ؛ لأنه لم يتحلل من الإحرام الأول ، فهو ممتد متصل بالإحرام الثانى ، فهما مقترنان ، وفوق ذلك أحرم بالحج قبل أداء العمرة .

١١ — وقد اختلف الفقهاء في أى هذه الأقسام الثلاثة أفضل وأحب عند الله ، وأساس الاختلاف هو اختلافهم في حج النبي صلى الله عليه وسلم ، والمأثور عنه من أقوال في هذا المقام .

فبعض العلماء وهم الأقلون قالوا إن الأفراد أفضل ، وبعضهم وهم الأكثرون قالوا القرآن أفضل ، وبعضهم قال إن التمتع أفضل .

وقد أجاز النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد من الثلاثة ، وفي كل فضل . وأساس الاختلاف كما ذكرنا هو في حج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنه كان أفراداً ، ولعله اختار ذلك على هذه الرواية ليكون قدوة للناس في طلب اليسير ، ولكيلا يفهم أحد أن القرآن أو التمتع فرض لازم ، وروى أنه كان قرانا وهو المشهور ، وروى أنه كان تمتعاً .

وقد روى البخارى وغيره أن عمر رضى الله عنه قد نهى الناس عن التمتع والقران ، ولعله لم يفعل ذلك تحريماً لأمر شرعى أقروا النبي صلى الله عليه وسلم ، بل فعل ذلك من قبيل السياسة العامة ؛ لأنه رأى الناس يزدحمون ويمكثون أمداً طويلاً لجمعهم بين العمرة والحج في أشهره ، ثم يخلو البيت من الناس طول العام ، فأمرهم سياسة لا ديناً أن يفردوا بالحج ليعتصروا في أثناء العام ، ويكون للبيت الحرام أئدة من الناس تهوى إليه طول العام . ومهما يكن تخرج قول ذلك الإمام العبقري ، فإنه من الحق أن نقول إن أحداً من الصحابة لم يوافق أباً حفص على ما ارتأى .

وإن الحق في الأمر أن القرآن أفضل أنواع الإحرام ؛ لأن حج النبي صلى الله عليه وسلم كان قرانا في أرجح الروايات وأشهرها .

ومما يجب التنبيه إليه أن التمتع والقران إنما يكونان لغير سكان الحرم النبوى ، بل هما للافاقيين ؛ لأنهم الحريصون في أغلب الأحوال على أن يأتوا بالعمرة والحج في عام واحد ؛ لكيلا يتكرر السفر ، وتكون المشقة المتكررة لبعده الشقة ، ولذا قال تعالى بعد أن بين شرعية التمتع والقران والأعمال فيهما : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » وعلى ذلك ليس لأهل مكة وما حولها إلا الأفراد ، وهذا قول الحنفية ، وقال الشافعية إن أهل مكة يقرنون ويتمتعون كما يفعل غيرهم .

وقبل أن تترك الإحرام وركنه ونبيين أعمال الحج نذكر كلمة في العمرة من حيث وجوبها ، فقد قال بعض العلماء إن العمرة واجبة ، وقد استدلوا بقوله تعالى : « وآتوا الحج والعمرة لله » فقد قرنت العمرة بالحج فكانت واجبة مثل وجوبه ، واستدلوا أيضاً

بقوله صلى الله عليه وسلم : « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكبر خبث الحديد والذهب والفضة » ولقد قال الرسول عندما سئل عن الإسلام : « أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وأن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج وتعتقر » .

وقال بعض الفقهاء إن العمرة ليست بفرض ، وهم الأكثرون ، واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحج جهاد والعمرة تطوع » وبأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » لأن أفعالها في ضمن أركانه وبأن النبي سئل عن العمرة أواجبة هي ؟ فقال عليه السلام : « لا وأن تعتقر خير لك » .

وأصحاب هذا الرأي لا يرون في الأدلة التي ساقها الأولون دليلاً على أصل الوجوب بل هي دليل على وجوب الإتمام إن شرع فيها ، والأحاديث ليست صريحة في الوجوب ، ولأن أعمال العمرة جزء من أعمال الحج ، فيغني الطواف في الحج عن الطواف بالعمرة وجوب الطواف بالحج ، واعتبار الطواف بالبيت ركناً من أركانه .

أداء الحج

١٣ — قلنا إن أركان الحج ثلاثة : الإحرام وقد بينا مواقيته وأركانه وأقسامه ، ثم زيارة البيت الحرام ، والركن الثالث الوقوف بعرفات ، ولكن بين هذه الأركان مناسك كثيرة ؛ بعضها واجب ، ولكن لم يصل الوجوب فيه إلى حد الفرض اللازم الذي يبطل الحج بتركه كالسعى بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، والوقوف بالمزدلفة وهو المشعر الحرام ؛ وبعضها سنة . ومن الواجب علينا أن نذكر الجميع ، وقد علمت الأركان الثلاثة ، وأن ما عداها لا يبطل الحج بتركه ، إنما هي وحدها التي يبطل إن تركت .

وأعمال الحج تختلف في الأفراد عن التمتع وعن القران .

وأعماله بالنسبة للمفرد تبتدىء من وقت الإحرام ، ولنذكر ذلك مرتباً :

١ — يبتدىء المفرد بالإحرام من الميقات ، أو قبل الميقات ؛ ولا يؤخر الإحرام عن الميقات ، وبعد الإحرام يسن أن يكثّر من التلبية عقب الصلوات ، ووقت الأسحار وعند تغير الأحوال ، وتغير الأماكن فإذا صعد مرتفعاً كبر ولبى ، وكذلك إذا نزل إلى منخفض ، ويرفع صوته في التلبية من غير إجهاد .

ب — فإذا وصل إلى مكة اتجه أولاً إلى وضع أمتعه في مكان أمين يطمئن عليها

فيه مع ملاحظة أنه يدخلها جاهراً بالتلبية ؛ لأنه صار في ضيافة الرحمن ، وفي بيت الديان .

ثم يدخل المسجد الحرام ، فإذا شاهد البيت موطن التنزيل ، وبيت الله العتيق كبر وهلل ثلاثاً ، ثم ابتداء بالطواف ، ويسمى هذا طواف القدوم ، وليس هو الركن بل هو سنة ، ويبتدىء فيستلم الحجر الأسود لأنه علامة ابتداء الطواف وانتهائه ، وعنده تعدد مرات الطواف ، فاستلامه لتعيين نقطة ابتداء المرة من الطواف وانتهائها ، ويطوف سبعة أضعاف طوافه وراء الحطيم ويضع يده في كل مرة يمر فيها بالحجر الأسود عليه ليتأكد المرة بهذا الاستلام ، ويسن له الإسراع مع هز الكتفين في سيره لكيلا يجهد التعب ، ولكيلا يزدحم البيت بالناس .

وبعد الفراغ من الطواف يلتزم للمتزم ، وهو المكان الذي بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، ويصلي ركعتين خلف المقام ، ويشرب من ماء زمزم .

فإذا أتم ذلك خرج إلى الصفا وصعد عليه مستقبلاً البيت مكبراً مهللاً داعياً بما شاء ثم يهبط ماشياً نحو المروة في هنية ورفق حتى يأتي المروة فيصعد عليه ، ويفعل مثل ما فعل على الصفا ، وهكذا يسعى سبعة أشواط . وبعد هذه الأعمال التي كانت في اليوم الأول يقيم بمكة محرماً ويطوف بالكعبة كلما بدا له من غير أن يكرر السعي حتى اليوم الثامن من ذي الحجة .

ح - وفي اليوم الثامن يخرج إلى منى بعد طلوع الشمس ، ويبيت بها تلك الليلة مع ملاحظة تكرار التلبية في أوقات الصلاة والأسحار وكلما صعد مرتفعاً ، أو هبط في واد .

د - وفي اليوم التاسع يتوجه من منى إلى عرفات بعد طلوع الشمس فيمكث بها إلى الزوال ، وبعد الزوال يذهب إلى مسجد نمرة فيسمع من إمام المسلمين : أي رئيسهم الأكبر ، أو نائبه خطبتين كخطبتي الجمعة ، يعلم فيهما الناس المناسك وأوامر الدين ، ويذكر أحوال المسلمين في ذلك المجتمع الأكبر ، وفي ظل الله بأرضه المقدسة ، ويصلي الناس بعد الخطبة الظهر والعصر في وقت الظهر جامعين بينهما جمع تقديم ، وبعد الصلاة يذهبون إلى الموقف بعرفات فيقفون به حتى الغروب .

ولقد اتفق الفقهاء على أن الوقت من الزوال إلى فجر اليوم العاشر وقت للوقوف ، واتفقوا أيضاً على أن من وقف قبل الغروب وبعده معاً صح حجه ؛ إذا استوفى ركنه وكذلك من وقف بعد الغروب فقط ولكنهم اختلفوا فيما إذا وقف بعد الزوال واقترب قبل

الغروب فقد قال الجمهور يصح ، لأنه يكفي الوقوف لحظة من الزمان في وقت الوقوف ، وقال مالك لا يصح حتى يكون الغروب ليفترق عما كان يفعله المشركون في الجاهلية ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس ، إذا كانت الشمس في رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال » واختلفوا أيضاً فيما إذا وقف قبل الزوال فقال الجمهور لا يصح ، لأنه ليس في وقته ، وقال أحمد يجوز لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جواباً عن سؤال « من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع ، ووقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه ، وقضى تفثه » والسؤال والجواب كان والنبي صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة .

وعرفة هو الركن الذي لا يقبل القضاء ، فإذا فات الوقوف في وقته فات الحج ؛ ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفة »

(هـ) بعد غروب اليوم التاسع يفيض الحجيج إلى المزدلفة ، وهو المشعر الحرام ، فإذا وصلوا إليها بعد العشاء جمعوا بين المغرب والعشاء جمع تأخير ، إذ يجمعون الصلاتين في وقت العشاء ؛ وهناك يبيتون حتى الفجر ، ثم يقفون . وهل الوقوف بالمزدلفة ركن كالوقوف بعرفة ؟ اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال : أولها — أنه ركن كالوقوف بعرفة وعلى هذا الرأي بعض التابعين وبعض الشافعية ، وقال آخرون إن الوقوف بالمزدلفة واجب دون وجوب الفرض ، فليس ركنًا ولكن من فاته وجب عليه ذبح شاة ولا يبطل حجه ، وعلى هذا الرأي الحنفية والحنابلة وجمهور الشافعية ، وبعض المالكية ، وقال آخرون إن الوقوف بالمزدلفة سنة ، وعلى هذا الرأي أكثر المالكية ، وأقوى هذه الآراء أوسطها .

والوقوف بالمزدلفة وقته بعد صلاة الفجر من اليوم العاشر كما ذكرنا .

(و) وبعد الوقوف بالمزدلفة يذهب الحجيج إلى منى فإذا وصلوها رمى كل واحد حجرة العقبة ، وهي سبع حصيات يرمونها ؛ ولا يرمى في هذا اليوم سواها . وبعد رميها يذهب إلى رحله فيذبح الشاة ، وبذلك يتحلل من كل ما كان حرمه الإحرام : من لبس الثياب الخيطة على قد الجسم بطريقة معتادة وقص الأظافر والشعر والطيب ، والتعرض للصيد ، ولكن لا يحل له الآن الوصول إلى النساء ، فإن ذلك لا يحل إلا بعد الطواف ، طواف الركن .

ولأنه تحلل من الإحرام يحلق شعره أو يقصره على حسب اعتياده ، ويزيل تفثه فيقص أظفاره ، ويلبس ثيابه .

ثم يذهب إلى مكة فيطوف بالبيت وذلك هو طواف الركن .

(ز) وفي اليوم الحادى عشر يعود إلى منى ، فيرمى الجمرات الثلاث بعد الزوال ، ويبتدىء بالتى تلى مسجد الحيف ، ثم التى تليها ، ثم جمرة العقبة ، وكل واحدة منها سبع حصيات .

وفي اليوم الثانى عشر يفعل مثل ما فعل فى اليوم الحادى عشر .

وكل هذه أفعال حسية القصد منها جمع القلوب ، وجمع النفوس نحو هدف واحد وغاية واحدة ؛ فاجتماع الهدف الحسى مظهر لالتقاء القلوب ، واتحاد النفوس ، وفوق ذلك فإن هذا ما كان يفعله إبراهيم أبو الأنبياء فهو ربطٌ للماضى بالحاضر ، وإشعار بوحدة الشرائع الإلهية ، والتقاءها نحو غاية واحدة ، وهى تطهير النفوس البشرية ، والتوحيد فى العبودية .

ثم رمى الجمرات بعد ذلك إشعار بقوة المجاهدة فى النفس البشرية إذ نزع من أطوائها شرورها وآثامها ، وكأنها إذ تقذف تشير إلى أنها ألفت أضرارها وآثامها ، وعاد الحاج من بيت الله الحرام كيوم ولدت أمه ، كما صرح بذلك النبي الكريم صلى الله عليه وعلى أصحابه وسلم .

(ح) وفى اليوم الثالث عشر إن بقى بمضى رمى الجمرات الثلاث ، وإن تفرق قبل طلوع فجر ذلك اليوم ليس عليه جمرات ، ويسن للحاج بعد ذلك أن يطوف بالبيت ، ويسمى ذلك الطواف طواف الصدر أو الوداع .

وبعد أن يؤدى الحج على ذلك النحو له أن يعتمر محرماً ؛ وأركان العمرة الإحرام والطواف ، ومن واجباتها السعى بين الصفا والمروة .

١٤ — وأداء الحج فى حال القران من حيث هذه الأفعال كلها كأفعال المفرد السابقة من حيث الزمان والمكان ، وكل الأعمال بيد أنه فى حال القران يجمع عند الإحرام بين الحج والعمرة فى نيته وقوله ، فيقول : « اللهم إني أريد الحج والعمرة فيسرها لى ، وتقبلهما منى ، ويبتدىء بالعمرة فيطوف طوافها ، ويسعى سعيها ؛ ويغنيه ذلك عن طواف القدوم . ثم يقيم بمكة إلى اليوم الثامن ، ثم يقوم بأعمال الحج حتى اليوم العاشر ، فيتحلل وجوباً بذبح شاة ؛ فإن لم يكن عنده شاة يذبحها صام عشرة أيام : ثلاثة أيام منها فى الحج ، وسبعة إذا رجع إلى أهله ، وذلك لقوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج ، وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » وكلمة التمتع هنا يراد منها ما يشمل القران والتمتع الاصطلاحي .

١٥ — وأعمال التمتع في الحج كأعمال الأفراد ، بيد أن المتمتع ينوى العمرة أولاً ، ويسوق الهدى الذى ينوى التحلل به من العمرة إن كان يستطيع ، فإن لم يستطع ، فإنه يؤدي العمرة أولاً فيطوف لها ويسعى ، وهذا يغنيه عن طواف القدوم ثم يبقى بمكة متحللاً أو مستمراً على إحرامه ، حتى يحرم بالحج قبل اليوم الثانى ، ثم يتم أفعال الحج كلها ، ثم يذبح وجوباً كالتقارن وإن لم يستطع قام الصيام مقام الذبح . وإذا ساق المتمتع الهدى كان كمن لم يسق إلا أنه لا يجوز له التحلل ، بل يستمر على إحرام العمرة حتى يحرم للحج ويتم الحج كما أتته الأول .

١٦ — هذه إشارة موضحة لأعمال الحج ، وأساسها كلها توجيه القلوب نحو الديان والادراع بالتقوى ، وتربية الشكائم الخلقية والفضائل الاجتماعية ؛ والانتقطاع نحو شهرين أو تزيد عن ملاذ الحياة وشهواتها وجمحاتها ، حتى عن النطق بما يشير الغرائز الإنسانية « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » .

وفي الحج كما نوهنا يلتقى الشرقى بالغربى ، والأعجمى بالعربى على بساط الرحمن ، وفي ضيافة الديان ، فتجتمع القلوب النافرة والأهواء المتضاربة ، والألوان والأجناس المختلفة في حرم الله الآمن ، وإذا كان اجتماع المسلمين على قبلة واحدة رمزاً للوحدة الخالدة ، وإشعاراً لأهل الإسلام متكرراً بأنهم أمة واحدة ؛ ففي الحج يكون الاجتماع الحسى ، لا الاجتماع الرمضى ، والتلاقى بالوجدان والأبدان ، بعد التلاقى بمجرد الوجدان .

وللحج غاية عليا سامية ، وهو جمع الكلمة ، وجعل شرع الله هو الأعلى ، في كل الأقوال والأفعال ، وجعل أوامره سبحانه رباط الوحدة ؛ ولذا ذكر سبحانه بعد بيان مناسكه الغاية منه فقال : « فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » وذكر الله هو أن يُعَمَّرَ قلب المؤمن به دائماً ، وأن يطيع أوامره ، ويحسب نواحيه وإذا كان المرء لا ينسى آباءه لأنه السبيل الذى وصل به إلى هذا الوجود فليذكر دائماً خالق أيه وخالق كل من في هذا الوجود . وقد سئل ابن عباس في قوله تعالى : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم » . فقال : « قد يأتى على الرجل اليوم ، ولا يذكر آباءه » فقال ابن عباس : « ليس كذلك ، ولكن إن تغضب لله إذا عصى أشد من غضبك لو لديك إذا شتم »

١٧ — أيها المسلمون :

إن الحج إلى بيت الله الحرام ، ومنازل الوحي وآثار النبيين هو الجامع لقلوب

المسلمين فاجعلوه محققاً لقصدته منتجاً لغايته ، ولقد كان العرب في الجاهلية يفتخرون بالأجداد والآباء في خطبهم ؛ فبدل النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الخطب الجاهلية خطبة جامعة موحدة كان مطلعها هو معنى الإسلام الأكبر : « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، أبلغت ؟ قالوا بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وإن الحج فيه تعليم معنى المساواة ؛ لأن الناس جميعاً يلبسون لباساً واحداً ، واللباس هو مظهر الفرقة بين الشرق والغربي ، والفقير والغني ، والأمير والسوقة ، فحى الله ذلك التفريق الحسى ، لكيلا يكون تفريق نفسى ؛ اللهم اجمع قلوبنا ، ووحد أمرنا ، وهي لنا من أمرنا رشداً .



« المسلمون »

و « المسلمون » ليست إلا قبساً من أقباس هذا « الشهاب » تقفوا أثره وتعيد في الناس سيرته في خدمة دعوة القرآن وتجلية فضائل الإسلام . ومصدرها ليس إلا تلميذاً من تلامذة « حسن البناء » الكثيرين ، وقد نعم رضى الله عنه وأرضاه بالشهادة بعد أن أدى الرسالة وأرسى الأساس ورسم قواعد البناء ، وترك ذلك كله وديعة مباركة في يد الله الذي أكرمه فجعله الداعي إليه على بصيرة ، وبارك سعيه فجعله مشرق النور والأمل في العالم الإسلامي جميعه ، ثم اختار له حين حضره الأجل المحتوم — وأجل الله إذا جاء لا يؤخر — أكرم موة في سبيل الحق ، ففضى إلى ربه شهيداً عزيزاً ، يشهد له دمه الحر الذي المهرق في سبيل الله ؛ وتركه كذلك في حراسة جيل جديد صالح درج في حجره ، واتسم بسمته ، وعاهده عهد الصدق أن يعيش للإسلام « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » .

مِنْ أَسْرَارِ الْحَجِّ وَالتَّضَيُّعَةِ وَالْعِيدِ

لأبي نعمان المهاجر

إن الدين الإسلامي يقوم على أساس العقل والمنطق والتفكير السليم ، والقرآن في كثير من آياته وبيناته يدعونا إلى التفكير في ملكوت السموات والأرض ، ويحثكم إلى العقل في كل شبهة يثيرها الشاكون فيه والمليحدون به ، ويطلب من الناس جميعاً أن يؤمنوا بالله وأن يتجهوا إليه وأن يتخذوا إلى اكتشاف ألوهيته وجلاله طريق البراهين العقلية ، ولم يطلب منهم قط أن يتخذوا إلى ذلك طريق التخريف والدجل والتعمية وعصب العيون !

وهذه هي من أعظم أصول الإسلام وأكبرها أثراً في تاريخه ، وبالرغم من أنه لا يكاد يختلف المسلمون في تقرير هذا الأصل الإسلامي المعلوم بالضرورة فإنهم لا يطبقون هذا الأصل تطبيقاً عملياً فيما يواجه الإسلام في شئون الحياة وتطوراتها .

لذلك وقفت حركة التجديد الإسلامي منذ فقد علماء الإسلام موهبة المرونة والاجتهاد والقدرة على التوفيق بين الشريعة ومقتضيات الحياة .

إن عشرات الألوف من المسلمين في هذه الأيام قد وفدوا إلى بيت الله الحرام من مختلف أقطار المعمورة إذعائاً لأمر الله ؛ فلو رجع المسلمون إلى الأصل الإسلامي في تكريم العقل ، وتحكيمه في قضاياهم وشئونهم لعرفوا أن الله سبحانه لم يدعهم إلى بيته ولم يؤيد عليهم فريضة الحضور إليه للعبادة وحدها ، فإن الله سبحانه موجود في كل مكان ؛ بل أراد الله إلى جانب العبادة أن يشهدوا منافع أخرى لهم من نوع المنافع التي لا تتم إلا بمثل هذا الاجتماع العالمي الكبير ، وإنا لثرى أنه بالرغم من أن علماء الإسلام اليوم مجمعون تقريباً على تقرير هذه الحكمة ، والإيمان بهذه النظرية فإنهم لم يعملوا شيئاً حاسماً في سبيل تطبيقها ، والارتفاع بها .

ها هم المسلمون يتوافدون كل عام عشرات الألوف إلى بيت الله ويذبلون من النفقات ما لا يمكن تقديره ولا حسابه ، ويغادرون أوطانهم إلى الأراضي المقدسة وهم يعلمون

جميعاً أن كيان الإسلام من أساسه محاط بمكائد أعدائه ، مهدد بنكبات عظيمة أشدها خطراً عليه تفرق أهله وشتات أمرهم وذهاب ربحهم ؛ فلا يقدمون عملاً جدياً في سبيل الوحدة والتعاون لكي يحفظوا كيان الإسلام من الانهيار والزوال ، ولا يحالون الاستفادة من هذا الاجتماع السنوي العالمي الذي فرضه الله عليهم ، فما أعجب هذه الأمة الإسلامية الكبيرة ، وما أشد التناقض في اتجاهاتها وتصرفاتها ... ! إنها تبذل التضحيات العظيمة لتقوم بمقدمات الواجب ، ولكنها لا تقوم بنتائجها ، ولا تهتم بها ؛ كأن مسؤولية حياة الإسلام وحفظه والإمساك على رمقه ، على عاتق عالم آخر غير العالم الإسلامي .

إن حفظ كيان الإسلام واجب على كل فرد مسلم ، مقدم على كل فريضة من الفرائض الدينية ، والنفريط في هذا الواجب ، وتقديم غيره عليه إن لم يعتبر كفرأ فهو من أقطع الكبار ، وإنه يخيل إلى أن الأمة الإسلامية الضخمة تعيش في ذهول ، وإلا فكيف يكون عندها الحافظ الديني على أداء فريضة من فرائض الإسلام والتضحية من أجله ولا يكون عندها الحافظ على حفظ كيان الإسلام من أساسه ؟ ... والأعجب من ذلك أن تضحي من أجل أداء الشطر التعبيدي من الفريضة ولا تؤدي أية تضحية من أجل شطرها الأكبر الأخطر ، والقائم على الحكمة والمنطق والمصلحة ، والجامع لأكبر الأسباب والوسائل التي يتأتى بها حفظ الكيان الإسلامي وتقرير مصيره !

إذا كان هذا الدمع يجري صباية على غير ليلى فهو دمع مضيع

وإلى جانب الحكمة الأولى من الحج وهي شهود المسلمين لمنافعهم واجتماعهم عليها وتعاونهم في سبيلها : حكمة أخرى تتمها وتشير إلى أن الأولى إنما تتحقق بالثانية ؛ ألا وهي حكمة التضحية بالأنعام . وإذا أردنا أن نفهم سر التشريع لهذه العبادة العجيبة وجب علينا أن نرجع إلى تاريخ تشريعها ، والقرآن الكريم يقصه علينا أحسن القصص . قال الله سبحانه في حكاية قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

« فلما بلغ معه السعي ، قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ »

قال : يا أبت أفل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتلا للجبين وناديا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه في الآخرين . سلام على إبراهيم . إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين . »

فالحج كله والحكمة فيه ، واجتماع المسلمين في شعائره ، وتفكيرهم في مصالح الإسلام العامة إنما يتم تمامه بفهم سر هذه التضحية ، والتعمق فيها ، وأخذ العبرة منها .
إن اجتماع المسلمين في تلك الأراضي المقدسة ، وتوافدهم إليها من أقطار الأرض لا يمكن أن يؤدي إلى نتيجة حاسمة لصون كيان الإسلام إذا اجتمع المسلمون وهم لا يوطنون أنفسهم ولا يروضونها على الرضا والالتقياد لتقديم أعظم التضحيات في سبيل الإسلام واجتماع أهله ، واتحاد كلمتهم .

إن إبراهيم عليه السلام ظل يدعو ربه أن يهب له ولداً فاستجاب الله له هذه الدعوة وحققها ، وكانت أمنيته العظيمة . فلما وصل إلى هذه الأمنية العالية وشب ولده وترعرع وبلغ بعد السعي امتحنه الله به وأمره بذبحه فأذعن لأمر الله . وأعد نفسه لهذه التضحية العظيمة التي لا نظير لها في تاريخ البشر ، وأذعن الولد الصالح ، وأسلم نفسه لأمر الله وأمر والده ، فكانت تضحية الولد بنفسه وهو في هذا السن أعجب وأروع من تضحية أبيه ، وقد انتهت حكمة الله عند هذا الحد فهي حكمة كانت تستهدف الاختبار لهذا النبي العظيم ، فلما نجح في تحمل هذا المجهود النفسي الهائل جزاه على ذلك النجاح ، وأعفاه من تنفيذ مشيئته ، وفداه بذبح عظيم .

ومن هذه العبرة نجد أن التضحية ليست في كثير من الأحيان إلا مجرد إعداد النفس لها فإذا ما استعدت النفس وصممت ، وأذعنت لأمر الله ظفرت بما تبتغيه وربحت ما كانت مستعدة للتضحية به ؛ وليس هذا الفداء العظيم إلا رمزاً إلى أن الله سبحانه يفتدى المؤمنين الصادقين الذين اعتزموا التضحية ، ويحقق أمانهم ، لذلك يقول الله سبحانه : « سلام الله على إبراهيم . إنا كذلك نجزي المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين » ولا ريب أنه ليس معنى الآية أن الله سيوحى من جديد إلى المؤمنين بذبح أولادهم ، ثم يفتديهم ؛ ولكن هذا مثل أعلى ضربه ليقاس عليه غيره ، ويتذكره المؤمنون أبد الدهر كل عام عند تقديم أضاحيقهم وليعلموا أنهم إذا وطنوا أنفسهم على التضحية في سبيل نصرته الإسلام ونشر دعوته فجدير بعدالة الله وحكمته أن ينصرهم ويرفع كلمتهم « ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

إن الله جعل العيد رمزاً ليوم النجاح في امتحان التضحية ، يوم ظفر القلب المؤمن بعد التضحية العالية التي قدمها في سبيل الله ، فهل يحق للمسلمين أن يفرحوا بهذا العيد وقد تركهم الجبن والأنانية وحب الذات بحيث أصبحوا أذلاء مستعبدين مشردين تحت كل كوكب ؟ ؟ .

دولة القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

رئيس جماعة العلماء بالجزائر

جاء القرآن لهداية البشر وإسعادهم ، والاهتداء به متوقف على فهمه فهما صحيحاً ، وفهمه الصحيح متوقف على أمور : منها فقه أسرار اللسان العربي فقهاً ينتهي إلى ما يسمى ملكة وذوقاً ، ومنها الاطلاع الواسع على السنة القولية والعملية التي هي شرح وبيان للقرآن ، ومنها استعراض القرآن كله عند التوجه إلى فهم آية منه أو إلى درسها ؛ لأن القرآن كل لا يختلف أجزاؤه ، ولا يزبغ نظمه ، ولا تتعاند حججه ، ولا تتناقض بيناته ، ومن ثم قيل : إن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، بمعنى أن مبيّنة يشرح مجمله ، ومقيّده يبين المراد من مطلقة ، إلى آخر الأنحاء التي جاء عليها القرآن في نظمه البديع ، وترتيبه المعجز ، ومنها الرجوع في مناحيه الخصوصية إلى مقاصده العامة ؛ لأن خصوصيات القرآن وعمومياته متساوقة يشهد بعضها لبعضها ، وكل هذه الأمور لا تنهي إلا لصاحب الفطرة السليمة ، والتدبر العميق ، والقريحة اليقظة ، والدهن الصافي ، والدكاء الوهاج .

والقرآن حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه ؛ فبئس ما تفعله بعض الطوائف الخاضعة للتمذهب من تحكيم الاصطلاحات المذهبية ، والآراء الفقهية ، أو العقلية فيه ، وإرجاعه بالتأويل إليها إذا خالفته . ومن الخطأ ، بل من الخذلان المفضي بصاحبه إلى ما يستعاذ منه أن يجعل الرأي الاجتهادي غير المعصوم أصلاً ، ويجعل القرآن المعصوم فرعاً ، وأن يعقد التوازن بين كلام الخلق وكلام الخالق ، إن هذا لهو الضلال البعيد .

ما أضع المسلمين ومزق جامعهم ونزل بهم إلى هذا الدرك من الهوان إلا بعدم عن هداية القرآن ، وجعلهم إياه عضيّن ، وعدم تحكيمهم له في أهواء النفوس ليكفكف منها ، وفي مزالق الآراء ليأخذ بيدهم إلى صوابها ، وفي نواجم الفتن ليجلّي غمّاءها ، وفي معترك الشهوات ليكسر شرّتها ، وفي مفارق سبل الحياة ليهدى إلى

أقومها ، وفي أسواق المصالح والمفاسد ليميز هذه من تلك ، وفي مجامع العقائد ليميز حقها من باطلها ، وفي شعب الأحكام ليقطع فيها بفصل الخطاب ؛ وإن ذلك كله لموجود في القرآن بالنص أو بالظاهر أو بالإشارة والافتضاء ، مع مزيد تعجز عنه عقول البشر مهما ارتقت ، وهو تعقيب كل حكم بحكمة ، وكل أمر بما يثبتته في النفس ، وكل نهي بما يُنفَرُّ عنه ؛ لأن القرآن كلام خالق النفوس ، وعالم ما تسكن وما تبدى ، ومركب الطبائع ، وعالم ما يصلح وما يفسد ، وبارئ الإنسان وسطاً بين عالمين : أحدهما خير محض والآخر شر محض ، فجعله ذا قابلية لهما من غير أن يكون أحدهما ذاتياً فيه ، ليبتليه أيشكر أم يكفر ، ولتختنه أى الطريقتين يختار ، كل ذلك ليجعل سعادته بيده ، وعاقبته باختياره ، وتزكياته أو تفسدته من كسبه ، وحق يهلك عن بيته ، أو يحيى عن بيته .

ما كان الصدر الأول من سلفنا صالحاً بالجملة والطبع ؛ فالرعيل الأول منهم وهم الصحابة كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب ، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته واهتدوا بهديه ، ووقفوا عند حدوده ، وحكموه في أنفسهم ، وجعلوا منه ميزاناً لأهوائهم وميولهم ، وأقاموا شعائره المزكية ، وشرائعهم العادلة في أنفسهم ، وفيمن يليهم ، كما أمر الله أن تقام ؛ فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين ، سادة في غير جبرية ، قادة في غير عنف ، ولا يصلح المسلمون ويسعدون إلا إذا رجعوا إلى القرآن يلتمسون فيه الأشفية لأدوائهم ، والكسح لأهوائهم ، ثم التمسوا فيه مواقع الهداية التي اهتدى بها أسلافهم . وإذا كان العقلاء كلهم مجمعين على أن المسلمين الأولين صلحوا فأصلحوا العالم ، وسادوه فلم يبطروا ، وساسوه بالعدل والرفق ، وزرعوا فيه الرحمة والحب والسلام ، وأن ذلك كله جاءهم من هذا القرآن ، لأنه الشيء الجديد الذي حول أذهانهم ، وهذب طبائعهم ، وثبت الفضائل في نفوسهم — فإن الإجماع على ذلك ينتج لنا أن سبب انحطاط المسلمين في القرون الأخيرة هو هجرهم للقرآن ، ونبذهم وراء ظهورهم ، واقتصارهم على حفظ كلماته ؛ وحفظ القرآن — وإن كان فضيلة — لا يفي غناء ما لم يفهم ، ثم يعمل به .

وهجر المسلمين للقرآن يرد إلى أسباب ، بعضها آت من نفوسهم ، وبعضها آت من خارجها ، فمن الأول افتتانهم بآراء الناس ، وبالمصطلحات التي تتجدد بتجدد الزمان ، ومع طول الأمد رانت الغفلة ، وقست القلوب وطغت فتنة التقليد ، وتقديس الأئمة

والمشايع ، والعصبية للآباء والأجداد ، وغلت طوائف منهم في التعبد فنجمت ناجمة التصوف والاستغراق ، فاختلفت الموازنة التي أقامها القرآن بين الجسم والروح ، وغلت طوائف أخرى في تمجيد العقل فاستشرف إلى ما وراء الحدود المحددة له ، وتسامى إلى الحظائر الغيبية ، فتشعبت به السبل إلى الحق في معرفة الله وتوحيده ، ونجمت لذلك ناجمة علم الكلام ، وما استتبعه من جدل وتأويل وتعطيل ، وتشابهت السبل على عامة المسلمين لكثرة هذه الطوائف فكان هذا التفرق الشنيع في الدين : أصوله وفروعه . وفي غمرة هذه الفتن بين علماء الدين ضاع سلطانهم الديني على الأمة ، فاستبد بها الملوك وساقوها في طريق شهواتهم ، فأفسدوا دينها ودنياها وكان ما كان من هذه العواقب المحزنة .

ومن الثاني تلك الدسائس الدخيلة التي صاحبت تاريخ الإسلام من حركات الوضع للأحاديث ، إلى هجوم الآراء والمعتقدات المنافية للقرآن ، إلى ما ادّخر لزماننا من إلقاء المبشرين والمستشرقين للشبهات في نصوص القرآن عن عمد ليصدوا المسلمين عن هديه ؛ وإن خطر هذه الفتنة الأخيرة لأعظم مما يتصوره علماءنا ، ويقدره أولياء أمورنا .

هذه العوامل مجتمعة ومفترقة ، وما تبعها أو لازمها من عوامل فرعية هي التي باعدت بين المسلمين وبين قرآنهم ، فباعدت بينهم وبين الخير والسعادة والعزة ، وأصبحوا — كما يرى الراي — أذلة مستعبدين ، ولا يزالون كذلك ما داموا مجانبين لسنن القرآن ، معرضين عن آياته وإرشاداته ، غافلين عما أرشد إليه من السنن الكونية ، ولو أنهم تواردوا على الاستمسك به في هذه القرون الأربعة عشر لكانوا هم السابقين بإرشاده إلى اكتشاف أسرار الكون ، واختراع هذه العجائب الآلية ، ولم يكن موقفهم منها موقف المكذب أولاً ، المندهش آخرأ ؛ ففي القرآن آيات للمتوسمين ، وإرشاد للعقل البشري يتدرج مع استعداده ، وفيه من الكشف عن غرائب النفوس وألوانها ، وعن حقائق الكون وأسرار مواليده ما يسير بمتدبره رويداً رويداً حتى يضع يده على الحقيقة ، ويكشف له عن وجهها ، ويكاد يكون من البديهيات فيه ما يقرره في أطوار الأجنة ، وتزاوج النبات ، وتكوّن المطر ، وتصاريح الرياح ، وتكوير الليل على النهار ، وإثبات الصلة بين علويات هذا الكون وسفلياته ؛ ولكن المسلمين ظلوا غافلين حتى عن هذه البديهيات إلى أن جاءتهم من غير طريق قرآنهم ، ثم دلهم القرآن على نفسه فلاذوا بالفخر الكاذب ، وربما دلهم على مواقع هذه الأشياء في القرآن من ليس من أهل القرآن ؛ وإن هذا هو الخذلان المبين . .

وما زاد المسلمين ضلالا عن منبع الهداية وعماية عنها إلا فريق من العلماء وضعوا أنفسهم في موضع القدوة والتعليم ، وطوائف من غلاة المتصوفة اتحلوا وظيفة التربية والتقريب من الله ؛ فهم الذين أبعدهم عن القرآن ، وأضلوا عن سبيله بما زينوا لهم من اتباع غير سبيله ، وبما أوهموهم من أنه عال على الأفهام ، وما دروا بأن لازم هذا المذهب كفر ، وهو أنه إذا كان لا يفهم فإنزاله عبث ، وأنى يكون هذا ؟ ومنزله — تعالت أسماؤه — يصفه بأنه عربى مبين ، وأنه غير ذى عوج ، وأنه ميسر للذكر . وينعته بأنه يهدى للقى هي أقوم ، وكيف يهدى إذا كان لا يفهم ؟ ومن عجيب أمر هؤلاء وهؤلاء أنهم يصدرون في شأن القرآن عن هوى لا عن بصيرة ، فبينما يستون على الناس باب الاهتداء به في الأخلاق التى تتركى النفس ، والعقائد التى تقوى الإرادات ، والعبادات التى تغذى الإيمان ، والأحكام التى تحفظ الحقوق ، وكل هذا داخل في عالم التكليف ، وكله من عالم الشهادة — بينما يصدون عن الاهتداء في ذلك بالقرآن نراهم يتعلقون بالجوانب الغيبية منه ، وهى التى استأثر الله بعلمها ، فيخوضون في الروح والملائكة والجن وما بعد الموت ، ويتوسعون في الحديث عن الجنة والنار ، حتى ليكادون يضعون لها خرائط مجسمة ؛ وسبيل المؤمن القرآنى العاقل في هذه الغيبيات أن يؤمن بها كما وردت ، وأن يكمل علم حقيقتها إلى الله ، ليتفرغ لعالم الشهادة الذى هو عالم التكليف .

وما زلنا نرى من آيات حفظ الله لدينه أن يقوم في كل عصر داع أو دعاة إلى القرآن وإمام أو أئمة يوجهون الأمة الإسلامية إليه ، ومفسر أو مفسرون يشرحون للأمة مراد الله منه ، ويتناولون تفسيره بالأدوات التى ذكرناها في أول هذه الكلمة ، ويجعلونه حجة على المذاهب والاصطلاحات ومنابز الرأى والعقل ، وحكما بينها ، وأصلا ترجع إليه ولا يرجع إليها . ومن المبشرات بالخير ورجوع دولة القرآن أن الدعوة إليه قد تجددت في هذا الزمان على صورة لم يسبق لها مثيل ، وأن أصوات الدعاة المصلحين قد تعالت بذلك وتجاوبت وتلاقت على هدى ، تدعو إلى دراسته واستخراج ذخائره وإحياء دعوته إلى الفضيلة والخير والمحبة ، وأخذ العقائد والعبادات وأحكام المعاملات منه ، والاستعانة على ذلك بفهوم السلف الصالح وتطبيقاتهم ، وتحكيمه في كل ما يشجر من خلاف في الدين والدنيا ، وكان من آثار ذلك أن أصبح العلماء المستعدون للعمل ، والعوام المتهيئون للعلم يرددون الجمل الآتية ، وتجول في نفوسهم معانيها ، وهى

« لماذا نهجر دستور القرآن وهو من عند الله ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يتبدل ولا يتغير ، ثم نلتجئ إلى دساتير الغرب وقوانينه وهى من أوضاع البشر القاصرة ، يظهر فى كل حين تناقضها ومنافاتها للمصلحة ، فتبدل وتغير ، ولا تزال تبدل وتغير ، مع أن واضعها والموضوعة لهم من جنس واحد ، وعلى طبيعة واحدة ومصلحة واحدة ؟ لقد بؤنا بالصفقة الحاسرة مرتين . »

إن هذا الغليان فى أفكار المسلمين وكثرة حديثهم عن القرآن ، وإقبالهم على دعائه ومدارسه ، وتخذى أساليبه فى الوعظ وفى الكتابة — كل ذلك يشار بـرجوع دولته وإصلاح البشرية به من جديد ، واتخاذ مرجعاً وملاذاً للأمم الأجنبية التى لم يستقر لدساتيرها الوضعية قرار ، فاضطربت حياتها ، واستشرفت نفوسها إلى قانون سماوى يحفظ حقوقها ، ويحدد للفرد حقه ، وللجماعة حقها ؛ ولعمري إن هذه المطالب كلها لفي القرآن لو وجد القرآن من أهله من يقيمه ويباغ دعوته وينشر هدايته .

ثم ما هذه النعمات الناشئة عن هذا الإيقاع اللذيذ ، إيقاع الدعوة إلى إقامة الدستور القرآنى ، ما هذه النعمات المموجة المترددة التى تصور أن الدستور القرآنى يتخيف حقوق الأقليات الساكنة للمسلمين أو يحجب بها ؟ .. إنها نعمات صادرة عن مصدرين : أعداء القرآن ينصبون بها العوائير فى طريق الدعوة إليه ، وضعفاء الصلة بالقرآن الجاهلين آثاره وتاريخه فى إصلاح الكون كله ، فليقل لنا الفريقان : عنى ظلم القرآن غير المؤمنين به ؟ ومضى أضاع لهم حقاً ، أو استباح لهم مالا ، أو انتهك لهم عرضاً ، أو هدم لهم معبداً ، أو حملهم على مكروه فى دينهم ، أو أكرههم على تغيير عقيدة من عقائدهم ، أو حملهم فى أمور دنياهم ما لا يطيقون ؟ ... بلى ، إنه عاملهم فى كل ذلك بما لم يطمع فى معشاره الأقليات ولا الأكثريات من شعوب اليوم الواقعة تحت حكم الدول العالمة المتحضرة ، الحاططة الكاذبة التى تزعم لنفسها الفضائل كلها ولا تتخلق بواحدة منها .

من أصول الإسلام أنه لا إكراه فى الدين ، وأين موضع هذا عند هذه الدول الباغية ؟ ومن أصول الإسلام الوفاء بالعهد فى السلم والحرب ، وأين هذا مما تفعله هذه الدول الطاغية ؟ ومن أصول الإسلام أن لا يكلف من دخل فى ذمته بالدفاع الحربى ، وأين هذا مما تفعله هذه الدول الظالمة التى تجند الحكوميين بالإكراه ليموتوا فى سبيلها من دون جزاء ولا شكر ؟ ومن أصول الإسلام أن لا يقتل فى الحرب إلا المقاتل ، وأن لا يقتل الأعزل المعتزل والشيخ الكبير والمرأة والطفل والمنقطع للعبادة ، وهذه الأصناف هى ثلثا الأمم الحاربة ، فأين هذا مما ترتكبه الأمم المتمدنة فى حروبها اليوم

من الإبادة للكبير والصغير والمرأة والرجل والطفل والجنين ، وما تتفنن فيه من وسائل الاستئصال . وكفى بواقعة « هوريشيا » اليابانية شاهداً لا يكذب .

إن الإسلام يعامل المخالفين بالرحمة ، لأن قرآنه هو دستور الرحمة ، ويضعهم في أربعة مراتب ، لكل مرتبة حكمها العادل : الذي المقيم في وطن الإسلام له كل ما للمسلم ، وليس عليه كل ما على المسلم فهو محمي النفس والمال والعرض ، حر في التصرفات المالية آمن في الظعن والإقامة ، وليس عليه ما على المسلم من أعباء القتال والدفاع ؛ والمستأمن آمن على حقوقه حتى يبلغ مأمنه ، والمعاهد موفى له بعهد من غير ختر ولا غدر ، والحربي يعامل بما رضيه لنفسه من غير أن يجاوزه إلى غيره من أهله أو بني ملته ؛ فإذا شد أمير مسلم أو قائد عن هذه القواعد الأساسية في الإسلام وظلم طائفة من هذه الطوائف أو فرداً من أفرادها فقد خرج عن حكم الإسلام ، وإذا حكى التاريخ عن ملوك مسلمين ظلمة فهؤلاء بطبيعة حالهم يظلمون المسلمين قبل أن يظلموا المخالفين ، وليست أعمالهم حجة على القرآن ، بل للقرآن الحجة عليهم ؛ وأيسر أحكام الإسلام فيهم أن يعزلوا وأعلاها أن يقتلوا .

أين هذا من قوانين اليوم ومعاملة اليوم أيها الناطقون بغير علم ، الصادر عن غير فهم ؟ وأين عدل القرآن من جوركم أيها الجائرون في الحكم ، المحاربون للحقيقة في الحرب والسلم ، البانون لحياتهم في الظلام على الظلم ؟ وأين تجدون الرحمة والعدالة إذا لم تجدوها في ظلال القرآن أينها الأقليات غير الوفية ، المدفوعة من الحلف بالأيدى الخفية ؟

اثمرت الحركات الإصلاحية من أكثر من مائة سنة ثمرات زكية ، وفتحت الأذهان للحقيقة ، وهى أن القرآن يُفهم ، وأنه ميسر للفهم ، فافتحت للدارسين أبواب كانت مقفلة ، وكثر جريانه على ألسنة الخطباء والمرشدين ، منزلة آياته في منازلها من الأحداث الطارئة ، متجاوبة مع العلم ، مقسمة على المواضيع المتجددة ، وكثر جريانه على أقلام الكتاب في المباحث الدينية والأخلاقية والاجتماعية والكونية ، يقيمون منه شواهد على كل حقيقة ، وأدلاء على كل طريق ، وأعلاماً هادية إلى كل غاية ؛ فإذا هو يفسر نفسه بنفسه وتتسابق معانيه الواضحة إلى الأذهان ، وأعان على ذلك هذه النهضة الأدبية التي لم تر العربية أعمق منها غورا ، ولا أوسع منها دائرة ، فأصبح بها القرآن قريبا إلى الأفهام ، مؤثراً في العقول ؛ وأصبحنا نسمع من تلامذتنا الذين ربيناهم على القرآن حفظاً وفهماً وعملاً ، ورضناهم على الغوص وراء معانيه — آراء في الاجتماع الإنساني سندها

القرآن ما كانت تريغها أفكار الشيوخ ، وآراء في الدستور القرآني وتطبيقه على زماننا ومكاننا ومصلحتنا ، ما كانت تسيغها عقول الأجيال الماضية ، وهؤلاء التلامذة لم يزالوا بعد في المراحل العلمية المتوسطة ، فكيف بهم إذا أمدتهم الحياة بتجاربيها ، وأمدم العلم باختباراته ؟ لعمر أبيك إنه القرآن حين تتجلى عجائبه على الفطر السليمة ، والعقول الصافية .

الله أكبر

« . . . ثم أقيمت الصلاة وكبر الإمام وكبر أهل المسجد ، وكنت قرأت أن بعضهم صلى خلف رجل من عظماء النفوس الذين يعرفون الله حق معرفته ؛ قال : فلما كبر قال : « الله . . . » ثم بُهِتَ وبقي كأنه جسد ليس به روح من إجلاله لله تعالى ؛ ثم قال : « أكبر » يعزم بها عزما فظننت أن قلبي قد انقطع من هيبة تكبيره . قلت أنا : أما الذي إلى جانبي ؛ فلما كبر مدّ صوته مدّاً ينبثق من روحه ويستطير ، فلو كان الصوت نوراً لمَلَأَ ما بين الفجر والضحى . »

مصطفى صادق الرافعي

الدستور الإسلامي

فنظم الحكم والإدارة والاقتصاد والمال

للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي

الأستاذ بجامعة القاهرة

(٤)

بدأت في مقالي الأخير الكلام عن الدستور الباكستاني^(١) ، باعتباره مثلاً طيباً لما أسميه الدساتير الإسلامية المحلية . ووعدت في المقال التالي أن أوالى التعليق عليه وأن أفصل ما أبرزه هذا الدستور من مبادئ رئيسية يصح أن تكون قدوة لكل دستور إسلامي محلي .

ولكنني أرى اليوم أن أرجئ إلى مقال آخر إنجاز وعدى باستكمال هذا الشرح لكي أعود إلى تأكيد الدعوة إلى وضع دستور إسلامي عالمي ، أو ما أسميه دستور الدولة الإسلامية الكبرى الشاملة لجميع الأقطار الإسلامية .

ذلك لأن بعض أحداث طيبة تمت خلال الشهرين الأخيرين دلت على تجاوز الشعوب في كثير من الأقطار الإسلامية نحو هذا الاتجاه . فقد عقد مؤتمر اقتصادي للبلاد العربية في بيروت ، وأسفر عن طائفة من القرارات تهدف إلى تحقيق قدر من التعاون الاقتصادي بين هذه الأقطار ، كما أصبح من المحقق عقد مؤتمر دفاعي للدول العربية ينسق سياستها الدفاعية بما يكفل قدراً من التضامن والتعاون بين قواتها العسكرية . كل هذا طيب ومحمود العاقبة ، ويرجى منه خير كثير . ولكنه أصبح لا يكفي في الظرف الحاضر لسبيين :

السبب الأول : أن هذه الخطوات الطيبة علاوة على أنها خطوات وثيدة فإنها ضيقة النطاق ، لا تمتد إلا إلى رقعة جزئية من العالم الإسلامي ، ولا تنظم إلا نحو عشر الشعوب

(١) إنما يعني الأستاذ المفضل مفروع أهداف الدستور الباكستاني والمقترحات التي أعدت على ضوءه ، ونحن نرجو من كل قلوبنا أن يكون على أساس ذلك دستور باكستان المرتقب .

الإسلامية . وفي الطرف الحاضر الذي انقسم العالم فيه إلى كتلتين — كتلة شرقية سوفيتية وكتلة غربية أمريكية — لا تستطيع الكتلة العربية وحدها أن تناهض هذين العملاقين .

وحسبك دليلاً واقعياً على ذلك ما لقيته الدوول العربية من عبث الدول الغربية ومن أكرثية هيئة الأمم في قضية فلسطين وإسرائيل ،

السبب الثاني — وأريد أن أكون صريحاً في تقريره — : هو أن هذا التكتل العربي (مع التجاوز في هذه التسمية عن بعض مواطن الضعف فيه) ينقصه ذلك الدافع المعنوي الباطني ، المنبعث من جوائح كل فرد ، المتفجر من عقيدة كل مواطن في بلد إسلامي . بعبارة أخرى ينقصه الاستناد الصريح إلى الحافز الإسلامي ، إلى الرابطة الدينية ؛ وهذه لا يغني عنها الاكتفاء برابطة وحدة اللغة ، ورابطة تقارب القومية ، فليست هاتان الرابطتان أقوى الروابط بين الشعوب . كما سيتضح للقارئ من سياق هذا البحث .

لقد غفلت الشعوب الإسلامية عن أقوى رابطة تجمع شملها ، وتدعم كياناتها، وتنظم إمكانياتها المتناثرة ، وترفع معنوياتها إلى أعلى المراتب : رابطة التعاليم الإسلامية .

إن الإسلام دين التسامح مع الأديان الأخرى ، والشعوب الإسلامية أكثر الشعوب برّاً وإقساطاً بأهل الأديان الأخرى ؛ فلماذا يخشى المسلمون الاستناد الصريح إلى رابطة دينهم ؟ ولماذا يحجمون عن التمسك بالحافز الإسلامي ويتبنون الدعوة إليه وهو أقوى الحوافز إلى الكرامة والوحدة والمجد ؟ إنهم في ذلك يتأسون بالغرب المسيحي ، ولكن الغرب المسيحي منقسم أهله إلى شيع دينية متنافرة ومذاهب متنازعة ، ظلت قرونًا في نضال دموي ، يحدوه تعصب أعمى ، ويذكيه ضيق أفق التفكير ، وما لحق التعاليم المسيحية من تشويه وتبديل . فعمدت في النهاية — لكي تجد مخرجاً من هذا المأزق — إلى إنكار الدين في علاقاتها السياسية والاجتماعية .

ومع ذلك فقد فطن كثير من مفكرهم أخيراً إلى خطر هذا الاتجاه ، وثبت لهم أن ضرره أكثر من نفعه ، بعد ما شهدوا انهيار مشروعاتهم الائتلافية ، واندلاع نار البغضاء بين شعوبهم ، وتفاقم الكيد بين حكوماتهم ، من جراء الانكباب على الماديات وإنكار شأن الدين . فقال قائلهم^(١) : « إن القوة المهيمنة في تكوين ثقافة مشتركة بين شعوب ذات ثقافات متباينة هي الدين . . . وهذه حقيقة لا مراء فيها » .

(١) T.S. Elliot: "The dominant force in creating a common culture between peoples each of whom has a distinct culture, is religion I am simply stating a fact".

وهكذا بدأت الدعوة إلى رابطة الدين ، يرجون منها قدراً من النجاح لمشروعاتهم الائتلافية . هذه المشروعات جديرة بالعرض ، لتبين هل كتب لها قدر من النجاح أو منيت بفشل شامل ، ونقف على سر نجاحها المحدود وعلل فشلها الشامل ؛ لكي نكون على بصيرة بكل هذا فيما نحن مقدمون عليه .

ولكن قبل هذا العرض يجب أن نستعيد ما أجملناه من عناصر الدستور الإسلامى العالمى ، لكي نجلو بعض معالمه ، ونفصل بعض عناصره ونزيدها تأكيداً وتبياناً . وهذا يقتضى سرد العناصر الآتية :

- ١ — الأخوة الإسلامية وما تستوجبه من تعاون وتكافل .
- ٢ — ازدواج صفة المواطن فى العالم الإسلامى .
- ٣ — الدستور الإسلامى العالمى هو تنظيم سابق لهذا التعاون والتكافل .
- ٤ — أهداف هذا الدستور .
- ٥ — أدائه التنفيذية .

١ — قلنا إن الإسلام دين اجتماعى ، يرسم أصول نظام المجتمع الإنسانى إلى جانب ما رسمه من سلوك الفرد . ولا يستكمل الإسلام بنيانه الصحيح إلا إذا انسق الجانب الاجتماعى فيه مع الجانب الفردى ؛ ففرائضه الاجتماعية العمرانية وفرائضه الفردية التعبدية يكمل بعضها بعضاً ، وتساند معاً فى بناء مجتمع سعيد سليم ؛ ولا بد من هذا التساند لصحة إسلام المسلم .

وأولى فرائض الإسلام الاجتماعية هى الأخوة الإسلامية ؛ فالمسلم أخو المسلم أنى كان ومهما اختلفت الدار أو بعد الزار ، والمسلمون جميعاً كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحلمى والسر . هذه الأخوة تستلزم قيام التعاون والتكافل بين الإخوة ، التزام بالتعاون والتكافل فرضه الإسلام على كل مسلم بحيث لا يتم إسلامه إلا بأدائه أداء يستشعر فيه رقابة ربه ، ولا يبتغى به إلا وجه ربه .

لم تكن دعوة الإسلام إلى هذا التعاون والتكافل دعوة وجدانية عاطفية ، بل كانت فريضة إلزامية صيغت بصيغة الأمر الذى لا فكاك منه ، أمر يقتضى من كل مسلم العمل الإيجابى وإعداد العدة لإبرازه فى حيز الوجود ، لا الاكتفاء بإرسال القول على عواهنه ، أو اتواء النية العاجزة .

٢ — وقلنا إنه حيث يقوم الإسلام فى رقعة أرضية ، ويكون هو الدين الذى يعتنقه جمهور شعبها ، فثم وطن إسلامى ، وجزء من الدولة الإسلامية الكبرى . وكل

مسلم مواطن في هذه الدولة الإسلامية الكبرى مهما كان موطنه المحلي . وكل مسلم مدين أولاً بالولاء لموطنه المحلي هذا — وطنه الأصغر — ومدين بالولاء ثانياً لوطنه الأكبر : الدولة الإسلامية .

ولقد عارضني بعض فقهاء القانون فيما قررته من ازدواج الموطن وازدواج الولاء ، وقالوا إن هذا الازدواج لا يستقيم مع الأصول القانونية الدارجة والتقاليد الفقهية المستقرة . فقلت لهم إن القوانين لم توضع لتسود الإنسان وتحبسه في إطار مغلق ؛ بل هي من صنع الإنسان ليسخرها كيف يرى في تنظيم نشاطه وتحقيق مثله العليا . والأمة التي يتحجر تفكيرها التشريعي هي أمة مقضى عليها بالركود والاندثار . وهاهي بريطانيا عندما أرادت أن تدعّم أواصر التماسك بين أجزاء الكومنولث (بالرغم مما ينخر في جنباته من تفكك داخلي وتنافر عميق الغور سنعرض لشرحه فيما بعد) سنت قانوناً في سنة ١٩٤٨^(١) يجعل لكل بريطاني جنسيتين : جنسية بريطانية وجنسية الكومنولث ، ولكل مواطن في أي جزء من أجزاء الكومنولث (كندا ، استراليا ، نيوزيلندة ، جنوب أفريقيا ، الهند ، باكستان ، سيلان ، بورما) جنسية موطنه المحلي وجنسية الكومنولث .

وهذا تشرشل رئيس وزراء بريطانيا في إبان الحرب العالمية الثانية يعرض على فرنسا المنهزمة توحيد الجنسية البريطانية والفرنسية ؛ بالرغم مما بين الأمتين من تباين في اللغة واختلاف في الدين وتعارض في المصالح الخارجية . ولكنه رأى مصلحة وطنه في أن تنحاز البقية الباقية من فرنسا إلى جانبه في معركة الحياة والموت التي كانت تخوضها بلاده يومئذ .

فالأوضاع القانونية ليست غاية في ذاتها ، بل هي وسيلة إلى غاية ، وسيلة تقبل القبض والبسط لتلائم ما يتطلبه تحقيق الغاية المنشودة .

٣ — وقد قلنا إن المسلمين جميعاً أمة واحدة : فرض عليهم دينهم التعاون الكامل الفعال على صلاح أمرهم . والتعاون لا يتحقق بالألفاظ والتمنيات ، بل له تبعات ومسئوليات ، يجب على المسلمين كافة النهوض بها . ولا سبيل إلى النهوض بتبعات هذا التعاون إلا إذا نظمت الأساليب التنفيذية للاضطلاع بها — وإلا بقي التعاون في حيز

(١) - The British Nationality Act of 1948, establishing dual citizenship throughout the Commonwealth.

التمنى اللفظي الذي لا جد فيه — تنظيمًا يتطور في أوضاعه بحسب نمو استعداد البيئات الإسلامية ، وبحسب مقتضيات كل عصر .

وقلنا إن المسلمين جميعاً أمة واحدة : فرض عليهم دينهم التكافل بين قلوبهم وضعيفهم ، تكافلاً بين الأفراد وتكافلاً بين الشعوب . ولم ينجح الاستعمار الغربي في استعباد بعض الشعوب الإسلامية إلا بعد أن حطم أواصر هذا التكافل ، وجعل كل شعب إسلامي بمعزل عن أخيه ، لا يعنيه ما يصيبه في قليل أو كثير : أنانية مستحكمة نجح الاستعمار الغربي في غرسها في تربة كثير من البلاد الإسلامية ، وحشد في سبيل ذلك كل ما أتاح له خبثه وحذقه من تغرير براق وتزييف خلاب .

والتكافل بين القوى والضعيف ليس معناه أن يسيطر الأول على الثاني ، أو يلتهم أراضيه ، أو يطويه تحت جناحه طي المتبوع للتابع ، فالمسلمون مهما تفاوتوا في القوة سواسية ؛ بل معناه أن يأخذ القوى بيد الضعيف حتى يستوى معه في القوة ، وأن يهب في خلال هذه المرحلة وبعد اجتيازها إلى إنجاده ، إلى إنقاذه من عادية من عادات الزمن ، أو من عدوان مغير أجنبي ، كل هذا بغير أجر يبتغيه أو مغنم يرتجيه .

هذا التعاون وهذا التكافل إذا أريد تحقيقهما على هذا الوجه يقتضيان تنظيمًا سابقًا وإعداداً مفصلاً ؛ ويمهد لهذا التنظيم والإعداد بحث شامل للوعي الإسلامي ، وإدراكه حتى للتعاليم الإسلامية ، وفهم ناضج لرسالة الإسلام .

لن يجدي في تحقيق التعاون والتكافل أن يكونا ارتجالاً تهتز به جوانح الأمم الإسلامية ، كلما أملت بإحداها كارثة قامت أخواتها يزجبن إليها معسول القول أو حار الدعاء ، أو على الأكثر تقدمن إليها بمعونات عاجزة هزيلة لا تغلح في دفع البلاء .

إنما نريد تعاوناً وتكافلاً قدر سمهما تنظيم سابق ، على نسق مسنون ، واطراد محدود ، قد أعد للأحداث عدتها ، واستقصى للكارثات أسبابها ، ومنع بالعلاج الناجع توليدها للكارثات ، فإذا وقعت بغتة بغير نذير كان متأهباً تأهباً مادياً لكسر شرتها وإحباط أذاها .

هذا التنظيم السابق هو ما سميت به : دستور الدولة الإسلامية الكبرى ، الدستور الإسلامي العالمي ، وهو القمة في البنيان الحكومي للعالم الإسلامي .

٤ — وأهداف هذا الدستور ثلاثة :

الهدف الأول : هو التزام يفرضه على كل دولة إسلامية بالعمل الدائب ، الجاد ،

المستنير ، على تفقيه شعبها في الثقافة الإسلامية والفهم الصحيح لتعاليم الإسلام ورسالته ، حتى بذلك نبعث في الوجود مرة أخرى مسلم الصدر الأول من الإسلام ، وحتى بذلك نخلق المواطن الصالح للوطن الإسلامي الأكبر ، وحتى بذلك نحبي الوحدة الروحية بين أربعمائة مليون مسلم .

هذه الوحدة الروحية المعنوية هي أعظم قوة ائتلافية ، هي أتمن رأس مال يدخره ويعتز به العالم الإسلامي ، هي ثروة لاتدانيها ثروة في الأرض .

إن مشروعات الائتلاف العربية — من المجلس أو البرلمان الأوربي الذي مقره في ستراسبورج ، إلى حلف الأطلنطي ، إلى رابطة الكومنثورم ، إلى الكومنواث البريطاني ، إلى الاتحاد الفرنسي الخ — كلها تعثرت ، وتخطمت أو كادت ، لضعف أو فقدان هذه الوحدة الروحية المعنوية ؛ بل إن ضعف أو فقدان هذه الوحدة الروحية المعنوية كان العلة الكبرى في الحلل الذي يوشك أن يقوض بنيانها الحكومي من قواعده ، سواء في الميدان الداخلي أو في الميدان الدولي .

وهذه الظاهرة الخطيرة سنقف عندها طويلا في شرحنا الآتي (١)

وقد فطن واضعو الدستور الباكستاني إلى أهمية التربية الإسلامية الصحيحة في تكوين هذه الوحدة الروحية في داخل شعبها وبينه وبين الشعوب الإسلامية الأخرى ، فجعلوا القيام بها فريضة على الدولة في طبيعة واجباتها نحو الشعب (٢)

والهدف الثاني — والثالث — هو تنظيم فرض التزام على الدول الإسلامية جميعا

بقيام تعاون وثيق بينها وتكافل ناجز في سياستها الاقتصادية وسياستها الدفاعية فإذا فرض هذا الدستور على الأقطار الإسلامية جميعاً سياسة اقتصادية متناسقة : متعاونة في مواردها ، متكافلة في إمكانياتها الإنتاجية ، فإنه لا يلبث بعد بضع سنين أن يُبدل فقرها رخاء وعسرها يسرا ، ويقضى على شهوات الاستعمار الاقتصادي الغربي فيها . ذلك الاستعمار الذي هيمن على اقتصاديات كثير من الأقطار الإسلامية (٣) ، وابتزّ

(١) العلامة Arnold J. Zurcher أستاذ علم السياسة بجامعة نيويورك درج على تسمية هذه الظاهرة "absence of social consensus" و "lack of moral unity in the community" . و "failure to secure consensus" و وصف محاولات الاتحاد والائتلاف بأنها « ائتلاف مزيف ، وبمجرد دم » "that unity is basically a false one; it is an illusion"

انظر : "Constitutional Trends since World War II, 1951, p. 6—9"

(٢) انظر مقالنا الأخير « المسلمون » العدد السابع ، السنة الثانية من : ٢٢

(٣) نذكر على سبيل المثال لا الحصر : تونس ، الجزائر ، مراکش ، السودان ، تركستان

خيراتها ، وترك لأهلها الفتات ؛ فأعجزها عن النهوض من الهاوية التى ساقها إليها ؛ ثم لكى يستبقى مغامره منها سعى إلى بسط سلطانه السياسى عليها ؛ فوقعت شعوب إسلامية كثيرة بين شقى الرحى : استغلال اقتصادى من تحتها ، واستعمار سياسى من فوقها وإذا فرض هذا الدستور على الأقطار الإسلامية جميعاً سياسة دفاعية متناسقة ، سياسة متعاونة فى إنتاج العتاد الحربى ، متعاونة فى إمكانيتها الصناعية وفى مواردھا المالية والبشرية ، متكافلة فى دفع أى عدوان على أحداها ؛ فإنها تصبح يومئذ قوة عالمية يتردد أى معتد فى المساس بشبر من أراضيها ، بل ان القوى العالمية الأخرى — المتنافسة المتناحرة — لتسعى جاهدة إلى استرضائها وخطب ودها .

هذه هى الأهداف الثلاثة لدستور إسلامى عالمى يكفل للشعوب الإسلامية تحقيق حريتها الاقتصادية واستكمال حريتها السياسية . وفى نطاق هذه الأهداف يجب أن يوضع هذا الدستور ، دستور الدولة الإسلامية المؤتلفة ، القمة فى الهرم الحكومى الإسلامى وهذه القمة تسندها كالبنيان المرصوص جميع الدول الإسلامية ، ولكل منها دستورها المحلى .

وقد قلنا إن هذه الدساتير المحلية تتشابه وتتفاوت :

تتشابه فى وجوب اهتدائها بأصول الحكم الإسلامى ، وفى وجوب انسجام أحكامها مع الأهداف التى يبتغىها دستور الدولة الإسلامية الكبرى : إقامة الترية الإسلامية الصحيحة وإقامة التعاون والتكافل فى السياسة الاقتصادية والسياسة الدفاعية .

وتتفاوت فى كيفية تنفيذها لأصول الحكم الإسلامى . فهذه الأصول تحتل فى التطبيق أوضاعاً متعددة متفاوتة ؛ فلتختار كل دولة الوضع الأكثر ملائمة لبيئتها ، والأكثر انساقاً مع سياقها التاريخى وتكوينها الجغرافى ، والأكثر تحاوباً مع الاستعداد السياسى لشعبها — من ملكية مقيدة بالشورى إلى جمهورية رياضية أو جمهورية برلمانية الخ — على أن يتسع كل دستور على لإجراءات تعديله : من وضع أدنى إلى وضع أعلى ، ومن ضيق إلى سعة ، كلما تطورت ملابسات البيئة وارتقى استعداد الشعب .

٥ — والخطوة الأولى — والأساسية — فى تحقيق هذا الدستور الإسلامى العالمى ، الثلاث الأهداف ، هى إيجاد أداة تضطلع بتنفيذه ، أداة تعبر عن الإرادة المشتركة لمجموعة الأقطار الإسلامية التى تتكون منها الدولة الإسلامية المؤتلفة .

وهنا عرضنا من قبل فى إيجاز للأوضاع الائتلافية والاتحادية التى عرفها الفقه الدستورى فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، وقلنا إننا لسنا من المؤمنين بالطرفة بل

نؤمن بوجود التدرج والتطور ، وقلنا إن الإسلام لم يأمر المسلمين إلا بالتعاون والتكافل ، ولم يقيدهم بوضع حكومي معين لتحقيق هذين المطلبين ، بل ترك لهم حرية اختيار الوضع الذي يلائم ظروفهم ومقتضيات عصرهم ؛ فالوضع الذي يكفل هذه الملائمة ، ويحقق المصلحة الراهنة ، هو أجدر الأوضاع بالاختيار .

ولذلك أشرنا بأن تأخذ الدولة الإسلامية المؤتلفة في الطور الأول من قيامها بالوضع الائتلافي المحدود النطاق . فتحفظ كل دولة إسلامية في إطار هذا الائتلاف بذاتها وباستقلالها وبسيادتها الداخلية والخارجية كاملة ، ولكنها تتحد معاً في العمل المشترك على تحقيق الأهداف الثلاثة السالفة الذكر وتتخذ معاً من النظم والوسائل ما يمكنها من بلوغ هذه الأهداف .

فهى تعمل معاً في حيز هذه الأهداف كأنها دولة واحدة ، وفيما عداها تسترد حريتها كاملة في الميدان الداخلي وفي الميدان الدولي .

ذلك لأن المطلع على الملابسات الداخلية والخارجية التي تكتنف كثيراً من الشعوب الإسلامية والدول الإسلامية في العصر الحاضر لا يسعه إلا التسليم — على كره منه — بأنها لم تنضج بعد لاختيار الوضع الاتحادي الكامل ؛ فالوعى الإسلامى المشترك لا يزال في بداية البعث ، والعصبية المحلية لا زالت لها حمايتها في الداخل ، كما تفد إليها من الخارج روافد من الثقافة الغربية المنطبعة عمداً بطابع المادية والأناية الوطنية ، كما تغزوها تيارات دافقة من الدسائس الاستعمارية التي تسعى إلى تفريق الشمل وإذكاء العصبية الإقليمية . ولا جرم أن التخلص من هذه التركة الحبيثة والتطهر من أوزارها يتطلب بذل جهود متوالية ، تمتد إلى فترة من الزمن غير قصيرة .

من أجل ذلك كان أقرب إلى النفاذ أن يكون طراز الائتلاف في هذا الدور الأول من الطراز المحدود النطاق : فلن تمنع الدول الإسلامية جميعاً — في مستوى النضوج الذي بلغته الآن — في أن تعهد إلى هيئة حكومية مشتركة — تمثلها جميعاً — بمهمة تنسيق سياساتها الاقتصادية والدفاعية بما يحقق التعاون الوثيق والتكافل الناجز بينها ، وبنىء خيره عليها جميعاً ، مع احتفاظ كل منها باستقلالها الكامل إلا فيما يقتضيه العمل على إنجاز هذين المطلبين . ويكون نظام هذه الهيئة على النحو الآتي أو ما يقاربه :

تتألف الهيئة الحكومية المشتركة من ممثلين لجميع الدول الإسلامية — بعدد متساو من الدول الكبيرة والصغيرة على السواء — تتخذ لها مقراً ثابتاً في إحدى العواصم

الإسلامية ، تستقر فيه بجهازها الفنى^(١) وبأدائها الإدارية والسكرتارية ، وتجتمع في دورة سنوية بالعواصم الإسلامية بالتناوب ، ويرأسها رئيس ينتخبه الممثلون لمدة عام واحد ، ينتخبونه في نهاية كل دورة لرئاسة الدورة التالية ، ويكون هو خليفة رسول الله في الأمة الإسلامية جمعاء ، ولا حرج في تجديد انتخابه سنة بعد سنة إذا أجمع الممثلون على هذا التجديد .

وفي الجانب الاقتصادى يتقدم الممثلون للهيئة الحكومية المشتركة ببرامج دولهم الاقتصادية — البرامج التى أقرها برلمان كل دولة — فتدرس الهيئة هذه البرامج ، وتواجه بعضها ببعض ، فيكشف لها النقص فى مورد معين عند دولة والفائض منه عند دولة أخرى فتشير بتكملة هذا النقص من ذاك الفائض ، ولا تلجأ إلى الخارج وتستجديه فى أى مورد — مادى أو بشرى — إلا إذا انعدم هذا المورد عند الأعضاء جميعاً ، وتمضى فى سد الثغرات فى اقتصاديات دولة بالزيادة الحاصلة فى إمكانيات دولة أخرى . كل هذا يجرى فى نطاق تبادل المنافع بين الأعضاء ، وتزكية الإنتاج المشترك ، بما يفي بربه على الأعضاء جميعاً

والتوجيهات التى تصدرها الهيئة على هذا النحو تلتزم الدول الأعضاء بتنفيذها التزاماً دستورياً^(٢) ، وتعديل برامجها الاقتصادية بما يطابقها .

(١) وهذا الجهاز الفنى يضم طائفة من الخبراء العالمين فى كل فرع من فروع الإنتاج ؛ سواء كانوا من الأقطار الإسلامية أو من خارجها ؛ فالاستعانة بالعلماء من أى موطن تقليداً إسلامياً متواتراً (٢) ولا يحسن أحد أن فى هذا الالتزام الدستورى بتنفيذ توجيهات هذه الهيئة مساساً بسيادة كل دولة . فهامى أمثلة من الدساتير الغربية الحديثة تنص على مثل هذا الالتزام أو أشد منه .
فالدستور الفرنسى الصادر فى سنة ١٩٤٦ ينص فى ديباجته .

“On condition of reciprocal terms, France shall accept the limitations of sovereignty necessary to the organisation and defence of peace.”

والدستور الإيطالى الصادر فى ٢٧ ديسمبر ١٩٤٧ ينص فى المادة ١١ على ما يأتى .

“Italy consents, on condition of parity with other states, to limitations of sovereignty necessary to an order for ensuring peace and justice among nations; it promotes and favours international organisations towards that end”.

ودستور الجمهورية الألمانية الاتحادية الصادر فى ٢٣ مايو ١٩٤٩ ينص فى المادة ٢٤ على ما يأتى .

“(1) The Federation may, by legislation, transfer sovereign powers to international institutions. (2) For the maintenance of peace, the Federation may join a system of mutual collective

يومئذ يقف العالم الخارجى منا موقف المستجدى لمواردنا فى مقابل ما ينقصنا من موارد. ويتقرر هذا التبادل عن طريق الهيئة الحكومية المشتركة ، فلا يتحكم العالم الخارجى بمجبروته الاقتصادى فى دولة إسلامية منعزلة ؛ كما حصل من قبل ، وكما هو حاصل الآن .

وعلى هذا النحو — أو ما يقاربه — يتحقق التناسق والتوازن والتكامل فى السياسة الاقتصادية للدولة الإسلامية المؤتلفة

وعلى هذا النمط — أو ما يقاربه — يتحقق التناسق والتوازن والتكافل فى السياسة الدفاعية للدولة الإسلامية المؤتلفة .

وبعد فهذه عناصر الدستور الإسلامى العالمى — أو « دستور الدولة الإسلامية المؤتلفة » — كما أوجزتها من قبل ، وكما فصلتها اليوم ، بعض التفصيل .

ولقد أشرت فى سياق ترجيح الوضع الائتلافى المحدود النطاق — فى هذا الطور الأول — إلى مواطن الضعف التى تعوق الاتحاد الإسلامى الكامل فى العصر الحاضر . ولكنى أود أن أقرر فى الوقت نفسه أن شعوب العالم الإسلامى — بالرغم مما ذكرت وما لم أذكر من أسباب الضعف والتفكك فيها — تمتاز بعامل من عوامل الاتحاد لا نظير له فى أى اتحاد من الاتحادات الدولية القائمة الآن ، ذلك هو تلك الوحدة الروحية المعنوية المنبثقة من تعاليم الإسلام .

وللتدليل على ذلك أرى أن نلقى نظرة فاحصة على الأوضاع الائتلافية والاتحادية القائمة فى عصرنا ، لتبين مدى ما يخالطها من عوامل الانقسام ومدى ما تنطوى عليه من بواعث الانهيار الوشيك ، ثم لنذكر بعد ذلك مدى القوة والتماسك المرجوين للاتحاد الإسلامى المنشود .

وهذا ما سوف نعالجه فى المقال التالى إن شاء الله ۞

security; in doing so it will consent to those limitations of its sovereign powers which will bring about and secure a lasting order in Europe and among the nations of the world. (3) For the settlement of disputes between nations, the Federation will accede to conventions concerning a general, comprehensive obligatory system of international arbitration”.

حاجة البشرية كلها إلينا

للأستاذ سيد قطب

الدعوة الإسلامية اليوم حاجة بشرية عامة ، قبل أن تكون حاجة الوطن الإسلامى . .
نعم إن الوطن الإسلامى الكبير المعتمد من شواطئ الأطلنطى إلى شواطئ الهندى
والباسيفيكي ، والمتغلغل فى قلب أوروبا وإفريقية وآسيا فى حاجة أولية إلى هذه
الدعوة ، ولن يكون له غيرها كيان حقيقى . ولكن البشرية كلها ليست اليوم بأقل
حاجة إلى هداية الإسلام من ذلك الوطن الإسلامى الخاص .

وسواء كانت البشرية تحس هذه الحقيقة أو لا تحسها ، فإن هذا لا يغير من وضعها
شيئاً . فحاجة المريض إلى الطب والعلاج لا تتوقف على شعور المريض بهذه الحاجة ،
بل إنه كثيراً ما يرفض تناول الدواء ، وكثيراً ما ينفر من الطبيب ، وكثيراً ما يدعى
الصحة والقوة ؛ وهو أشد ما يكون حاجة إلى الطبيب والدواء .

كتب « ج . هـ . دينسون » فى كتابه : « العواطف كأساس للحضارة »
« Emotions as the Basis of Civilisation » يصف الفترة التى سبقت بعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم يقول :

« فى القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدين على شفا جرف هار من القوضى
لأن العقائد التى كانت تعين على إقامة الحضارة كانت قد انهارت ؛ ولم يك ثم ما يعتقد به
نما يقوم مقامها ؛ وكان يبدو أن المدنية الكبرى التى تكلف بناؤها جهود أربعة
آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال ؛ وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى
ما كانت عليه من الهمجية ؛ إذ القبائل تتحارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام . أما
النظم التى خلقتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانحياز بدلاً من الاتحاد والنظام ،
وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله — واقفة تترخ وقد
تسرب إليها العطب حتى الباب . . وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذى
وحد العالم جميعه . . »

وبالشريعة اليوم ليست أحسن حالا ، وإن اختلفت الأسباب . .

إن الحيرة والقلق والشروء والاضطراب ترين كلها على الضمير البشرى فى كل مكان .

في البلاد التي كانت تعتنق ديانة سماوية أو في البلاد الوثنية على السواء . لم يعد هنالك يقين في شيء حتى يجد الضمير البشرى في ظله الهدوء والراحة والقرار . لم يعد هذا الضمير يطمئن إلى عقيدة أو مبدأ أو وضع أو نظام . لقد نفقت أوروبا وأمريكا عنها كل مقدساتها القديمة ابتداء من القرن السادس عشر ، وآمنت بالعالم . وبلغ هذا الإله الغربي الجديد ذروة قداسته خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ؛ وحسب الناس هناك أن له مقررات ثابتة لا يأتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . . ولكن ما كاد القرن العشرون يبدأ وينتصف حتى اهتز عرش هذا الإله المتقلب الذي لا يثبت على حال . لقد انضح أن مقرراته كلها قابلة للنقض ، وأنه هو الذي ينقضها بيديه يوماً بعد يوم . بل لقد بدا هذا الإله ذاته ضائعاً بين تصوراته وأدواته ومقاييسه ، لأنه لم يعد له مقياس ثابت يقيء إليه ، بعد ما أصبح هو بيده يحطم سائر المقاييس التي ظنها الناس غير قابلة للتغيير والتعديل .

كان هذا الإله قد بدأ بتصور خاص للمادة ، وكان قد أعلن أن كل ما عدا المادة وهم لا يتنازل — جلالاته — للنظر فيه أو البحث عنه . . فإذا هو ينتهى — بعد تحطيم الذرة على يديه — إلى أن المادة كما تصورها شيء لا وجود له ، وأنه في حاجة إلى جهد شاق لتعريفها من جديد ! ومن ثم دار هذا الإله حائراً بين مخلوقاته ، التي تكذب هي بذاتها تصوراتها !

ومن ثم فقدت البشرية اطمئنانها إلى هذا الإله الجديد ، الذي فقد هو ذاته إيمانه بنفسه وبوسائله ومقاييسه وتصوراته !

وكانت البشرية وقد انفلتت من قيود العقيدة الدينية قد انطلقت إلى عبادات جديدة . فأمريكا مثلاً قد نبذت كل المقدسات التي عرفت البشرية في تاريخها كله ، واتخذت لها آلهة ثلاثة جديدة : الإنتاج ، والمال ، واللذة . وروسيا على الضفة الأخرى كفرت بالله الواحد واتخذت لها آلهة : المادة ، والاقتصاد ، وكارل ماركس !

ولكن شيئاً فشيئاً أخذت البشرية تتبين أن هذه الآلهة وتلك ، إنما تقود العالم كله إلى حروب طاحنة واستعمار بغيض ، وحيوانية تنتكس إلى مدارج البشرية الأولى ؛ وأن العقد النفسية والأمراض العصبية ؛ والقلق الفردي والعائلي والاجتماعي والدولي هي البركات التي تتلقى بها تلك الآلهة الكافرة عبادها المتحمسين !

ولست أدري كيف يعيش الناس في روسيا السوفيتية وراء الستار الحديدي .

ولو كانوا يعيشون — كما تدعى الأبواق الشيوعية — لما كان لهذا الستار الحديدي ضرورة ، ولرحبت الحكومة السوفيتية بمن يطلبون زيارتها لرؤية ما فيها ، وارتكت الشعب الروسى يطلع على نظم العالم الأخرى وهى مطمئنة إلى أنه سيؤثر نظامه ويتحمس له ، ويلعن النظم الأخرى !

ولكنى أدري كيف يعيش الناس فى أمريكا . بلد الإنتاج الضخم والثراء الفاحش واللذائذ المباحة . . لقد شهدتهم هناك والقلق العصبى يأكل حياتهم على الرغم من كل مظاهر الثراء والنعمة ووسائل الراحة . إن متاعهم هياج عصبى ومرح حيوانى ؛ وإنه ليخيل إليك أنهم هاربون دائماً من أشباح تطاردهم . إنهم آلات تتحرك فى جنون وسرعة وهياج لا يقرر له قرار . وكثيراً ما كان يخيل إلى أن الناس هناك فى طاحونة دائرة لا تتق ليل نهار ، صباح مساء ، تطن بهم ويطنون ، لا يهدأون لحظة ، ولا يطمئنون إلى أنفسهم ولا إلى الحياة من حولهم — إن كانوا يحسون ما حولهم — ليست هناك لحظة للتأمل ، ولا حق للشعور بالحياة ذاتها وهى تدور . حق أوقات راحتهم ورياضتهم فى المتنزهات والغابات وعلى شواطئ الأنهار والبحيرات . . . تراهم فيها فتجس أنهم فى « شغل ١ » كأى شغل خلال أيام العمل ؛ وكل ما هناك من فارق أنهم فى مكان غير المكان ، وفى عمل غير العمل . ولكن لا راحة ولا هدوء ، ولا تأمل ، ولا اطمئنان .

إنهم ينتجون كثيراً . ما فى هذا شك . إنهم يكسبون كثيراً . ما فى هذا شك أيضاً . ولكن لمن ينتجون ولمن يكسبون ؟ لذات الكسب ولذات الإنتاج ! العنصر الإنسانى لا وجود له . تأمل ذلك الكسب وذلك الإنتاج . الإحساس بدوافعه ونتائجه فى لحظة فكر وحساسية قلب . تذوقه بحس الإنسان المتميز عن حس الآلة . . كل ذلك لا تلذحه فى سما وجه ولا فى تعبير لسان !

إنها الطاحونة الدائرة ليل نهار : تطحن ، وتبعثر ما تطحنه ، وتجمعه مرة أخرى لتطحنه من جديد ! والناس والأشياء والزمان والمكان . . كلها تروس فى تلك الطاحونة الدائرة التى لا تسكن ولا تمل ، ولا تكف لحظة عن الدوران . .
إنه الدوار ! ! !

هدوء القلب . اطمئنان النفس . راحة الضمير . لذة الفرح اليقظ بشعرات الجهد والإنتاج . المودات الحلوة بين الناس . التجاوب الروحى بين الأصدقاء . الاهتمامات الناشئة عن الوشائج الوثيقة فى الأسرة ، تلك الشاعر التى تشعر الفرد أنه ليس وحده ، وتمنحه الثقة والطمأنينة والراحة بعد الجهد والكد والعناء . العقيدة فى قوة أكبر من

قوة الأرض ، تلك العقيدة التي تشعر الفرد أنه ليس ذرة تائهة في هذا الكون العريض بلا أصل ولا قرار . . . كل هذا لا وجود له في قاموس الحياة الأمريكية ، ولا في محيط النفس الأمريكية . .

إنه الحواء !!!

الحواء على الرغم مما يبدو من زحمة في الحياة وامتلاء . . هنالك مرح كثير ، يخيل إلى من لا يعرف أنه سعادة . . . تلك الضحكات التي ترن في الهواء . تلك القفزات الواثبة في الطرقات . تلك القبلات التي لا تنقطع بين الجنسين . تلك « المهارشات » التي تتحسس مساقط اللذة في الأجساد . تلك الكؤوس التي لا تفرغ من الخمر . تلك الضجة التي لا تهدأ ولا تسكن . . ولكنه المرح الحيواني لا السعادة ، ولا الفرح . إن عربة السكرى ليست سعادة . كذلك المرح الحيواني ليس فرحا ، إنه انطلاق الطاقة المكبوتة تحت ضغط العمل المرهق . إنها فرقة كفرقة الآلات لتفريغ البخار . .

ولكن أين الإنسان ؟ في كل هذا الركام ؟ أين الإنسان المتميز عن الآلة وعن الحيوان ؟ ولست أتصور من وراء الفلسفة المادية في روسيا إلا حياة أحط من تلك الحياة . حتى ذلك المرح الحيواني الناشئ من الطلاقة والثراء في أمريكا لا أتصوره هناك ! وفي هذا الدرك تستقر البشرية اليوم في الشرق وفي الغرب سواء .

إن البشرية كلها في حاجة إلينا : في حاجة إلى عقيدة في الضمير ، يستروح في ظلها من هذا المهجير القائظ ، ويطمئن في رحابها من ذلك القلق ، ويستقر في حضنها إلى قرار .

لقد تعب هذا الضمير البشري من الجري وراء ذلك الإله المتقلب . . العلم . الذي يحطم موازينه في كل لحظة ، ويكفر بمخلوقاته وتكفر به مخلوقاته ، كلما انتهى إلى رأى جديد !

إن العقل قد يملك أن يتابع خطوات ذلك الإله المتقلب . أما الضمير ففي حاجة إلى ثبات واطمئنان وقرار .

ولقد تعبت البشرية من الارتكاس في حمأة اللذائذ ؛ ومن عبادة المادة واللذة والإنتاج . إن الإنتاج يجب أن يكون خادما للبشرية لا أن تصبح البشرية خادمة له ، وإن اللذة يجب أن تكون ملكا لصاحبها ، لا أن تستعبده وتستذله . .

والعقيدة في الله هي التي تمنح البشر حريتهم في وجه اللذائذ وفي وجه الآلات !

والعقيدة في الله يجب في الوقت ذاته ألا تكون قيداً للعقل ، ولا سجنًا للفترة ، ولا حائلًا دون الإنتاج والنمو في الحياة .

ومن ثم يبرز الإسلام ، وتتميز دعوة الإسلام ، وتتجلى حاجة البشرية كلها إلينا في هذا الأوان .

حاجة الضمير الفردي إلى الاسترواح والثقة والاطمئنان .

وحاجة العقل البشري إلى الطلاقة والحرية والنشاط .

حاجة الأسرة الخاصة إلى الحماية والرعاية والثبات .

وحاجة الأسرة البشرية إلى التعارف والتعاون والسلام .

حاجة الفرد إلى الاعتراف بوجوده وخصائصه وفطرته .

وحاجة المجتمع إلى الحماية والتوازن والاستقرار .

إن شجرة الحضارة البشرية تهتز وترتع اليوم كما كانت تهتز وترتع قبيل مولد « الرجل الذي وحد العالم جميعه » فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة هذا الرجل لتنقذها مرة أخرى . .

إن البشرية كلها في حاجة إلينا : في حاجة إلى عقيدتنا ، وفي حاجة إلى مبادئنا ، وفي حاجة إلى شريعتنا ، وفي حاجة إلى نظامنا الاجتماعي ، الذي يكفل الكفاية لكل فرد ، ويكفل الكرامة لكل إنسان ، ويكفل سلام الضمير وسلام البيت وسلام المجتمع ، كما يكفل السلام الدولي العام .

ومن هذه الحاجة الإنسانية — بعد عقيدتنا في الله — نحن نستمد قوتنا وثباتنا على الدعوة إلى عقيدة الإسلام وشريعته ونظامه الاجتماعي الخاص . وسنثبت — بعون الله — ولو تخطفنا الشر والطغيان من كل مكان .

إن البشرية كلها في حاجة إلينا . . ومن ثم تبدو جسامة الجريمة التي يرتكبها من يحاولون أن نذوب في أية حركة أو أية منظمة أو اتجاه في داخل الوطن الإسلامي أو خارجه على السواء .

إن الدين يريدون لنا أن نذوب في حركة قومية ، أو في كتلة دولية أو في اتجاه عالمي — على فرض أن هناك اتجاهًا عالميًا — إنما يرتكبون جريمة في حق البشرية كلها ، قبل أن يرتكبوها في حق الإسلام أو الوطن الإسلامي . . إن مهمتنا أن نتميز وأن نحمل الشعلة للضالين في شعاب الأرض وفي متاهات الصحراء . إن مهمتنا أن ننقذ البشرية من الحماة الأسنة التي تنمرغ فيها اليوم ، لا أن نذوب معها في تلك الحماة الآسنة والله معنا . والبشرية كلها ستعرف يوما أن نبوءة الله حق : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس . . » .

من فقه القرآن والسنة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٦)

(١) معنى الأمر والنهى

(ب) حكم التصرفات المنهى عنها

بعد أن انتهينا في الكلمات السابقة من الكلام على الشروط التي رأينا وجوب تحققها ليكون البيع صحيحاً شرعاً ، نأخذ في التطبيق على هذه الشروط لنعرف حكم الشارع في بعض عمليات البيع التي عرفها التاريخ أو تعرفها الحياة الحاضرة . ولكن ، نرى من الخير أن تقدم لذلك بكلمة عن معنى الأمر والنهى في نص الشارع ، وأخرى عن الحكم الإجمالي للتصرفات التي ورد نهى الشارع عنها .

(١) معنى الأمر والنهى :

نرى علماء أصول الفقه ، على اختلاف مذاهبهم الفقهية ، قد تكلموا عن معنى صيغة الأمر وكذلك صيغة النهى ، وكتباها وردت كثيراً في القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم . إنهم يبحثون في : هل تفيد صيغة الأمر الإيجاب دائماً ، أو الإيجاب أحياناً والندب والإباحة أو غير ذلك أحياناً أخرى ؟ أو هي موضوعة في الحقيقة للإيجاب فلا تصرف عنه إذاً إلا بقريضة تدل على إرادة الندب أو الإباحة مثلاً . وكذلك بحثوا في صيغة الأمر ؛ بمعنى هل تفيد دائماً التحريم ، أو تفيد أيضاً أحياناً الكراهية فقط ؟ أو هي موضوعة في الحقيقة لإفادة التحريم ، فلا ينبغي لنا أن نأخذ منها إرادة الكراهية فقط إلا إذا وجدت قرينة تدل عليها (١) .

ومهما يكن من خلاف بين هؤلاء العلماء ، فإن القول المختار هو أن صيغة الأمر ،

(١) راجع مثلاً في هاتين المسألتين : الإحكام للآمدي ، ج ٢ ص ٢٠٧ وما بعدها ، وص ٢٧٤ وما بعدها ؛ المستصفي للزالي ، ج ٢ ص ٢ وما بعدها ، وص ٢٤ وما بعدها ؛ وانظر الأمر ملخصاً في كتاب أصول الفقه للخضري ، ص ٢٤٢ وما بعدها

أو الصيغة الخبرية التي في معنى الأمر كقوله تعالى في سورة البقرة آية ٢٢٨ : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، هو الوجوب . اللهم إلا إذا وجدت قرينة في النص تدل على أن المراد هو الندب ، وهذا مثل قوله تعالى في آية المدائنة في السورة نفسها : « فاكتبوه » ، أو الإباحة كما في قوله جلّ ذكره في سورة الأعراف آية ٣٠ : « وكلوا واشربوا » أو تدل على غير هذا وذلك من المعاني والمقتضيات التي تجبى لها صيغة الأمر .

وكذلك نرى أن القول المختار في صيغة النهي أنها تدل لغة وحقيقة على التحريم كما في قوله تعالى في سورة النساء آية ٢٩ : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » . وهذا إذا لم يوجد في النص ما يصرفها إلى إفادة الكراهية كما جاء في سورة الإسراء آية ٣٧ : « ولا تمس في الأرض مراحا » ، أو الدعاء كما جاء في سورة البقرة آية ٢٨٦ : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا نَحْمِلْنا ما لا طاقة لنا به » .

(ب) حكم التصرفات المنهى عنها :

وهنا نرى أنه مما يجدر ملاحظته أننا لا نكاد نجد في القرآن أو السنة حكماً صريحاً على عقد من العقود بالصحة أو الفساد أو البطلان ، بل نجد الحكم بالحل أو الحرمة أو النهي عن بعض العقود ، ثم لا نجد تفصيلاً في النهي ، وهل يقتضى فساد الحكم ، أو كراهته فقط وإثم من يقدم عليه مع وقوعه صحيحاً مع هذا النهي ؟ وربما كان السبب في الاكتفاء بالنهي ، دون الحكم بالفساد أو الصحة مع ذلك — وهذا ما لم نجد فيه كلاماً لأحد من قبل — هو التوسعة على الناس في معاملاتهم وتصرفاتهم ، وترجع هذه التوسعة إلى بحث الفقهاء واختلافهم في حكم التصرف أو العقد المنهى عنه من ناحية الفساد والصحة ، ولكل وجهة هو مؤكّدها . ولعل هذا الأسلوب من مزايا التشريع الإسلامي ، نعتي مصدريه الأولين العظيمين : كتاب الله المحكم ، وسنة رسوله الصحيحة .

وبعد هذه الملاحظة ، نذكر في هذه المسألة ، نعتي حكم التصرف المنهى عنه شرعاً ، آراء ثلاثة من أعلام الفقهاء ، وهم :

- ١ — الإمام الغزالي المتوفى عام ٥٠٥ هـ .
- ٢ — سيف الدين أبو الحسن الآمدي المتوفى عام ٦٣١ هـ .
- ٣ — شمس الدين بن القيم المتوفى عام ٧٥١ هـ .

فالغزالي يذكر أن جماهير الفقهاء ذهبوا إلى أن النهي عن البيع ونحوه من التصرفات يقتضى فسادها ، وذهب قوم إلى أن النهي عن التصرف يدل على الفساد إن كان نهياً عنه لعينه وإن كان لغيره فلا . والمختار أنه لا يقتضى الفساد ، أى خروج التصرف عن كونه سبباً يفيد حكمه ، أى مثل ملكية الثمن والمبيع في عقد البيع والشراء (١) . ثم ذكر بعد هذا (ص ٢٧) ، أن النهي عن التصرف أو العقد قد يدل على تحريمه والمنع منه ، ولكن لا يستدل به على الفساد لو وقع فعلاً . وأخيراً ، انتهى بالإشارة إلى أن بعض النواحي في الشريعة قد حملها الفقهاء على الفساد ، وبعضها لمحمّل على الكراهة دون الفساد ، فلا بُدَّ إذاً من ضابط يفصل هذا الضرب من ذلك ، سواء في العبادات والمعاملات . ثم قال : النهي لا يدل على الفساد ، وإنما يُعرف فساد العقد والعبادة بفوات شرطه وركنه ، إلى آخر ما قال (٢) .

والآمدى لم يبعد عما ذهب إليه الغزالي (٣) . فإنه بعد أن ذكر اختلاف الفقهاء في المسألة ، قال إن منهم من لم يقل بالفساد ، وهو اختيار المحققين من أصحابنا (يريد الشافعية) ، وبه قال جماعة من المعتزلة . ثم بعد ذلك نجده يقول : « ولا نعرف خلافاً في أن ما نهى عنه لغيره أنه لا يفسد ، كالنهي عن البيع في وقت النداء يوم الجمعة ، إلا ما نُقل عن مذهب مالك وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه » .

وأخيراً ، نرى العلامة ابن القيم ، وهو بصدد الكلام عن تحريم الله سبحانه « القول على الله بغير علم في الفتنيا والقضاء » ، يذكر أن الإمام مالك بن أنس كان يقول : لم يكن من أمر الناس ، ولا من مضى من سلفنا ، ولا أدركت أحداً أفتدى به يقول في شيء هذا حلال وهذا حرام ، وما كانوا يجترئون على ذلك . وإنما كانوا يقولون : نكروه هذا ، ونرى هذا حسناً ، وينبغي هذا ولا نرى هذا (٤) .

والذي يهدف إليه هذا الفقيه الجليل المجتهد ، هو ضرورة التأدب بأدب السلف الذين « كانوا يستعملون الكراهة في معناها الذي استعملت فيه في كلام الله ورسوله ، ولكن التأخرين اصطلاحوا على تخصيص الكراهة بما ليس بمحرم وتركه أرجح من فعله ، ثم حمل من حمل منهم كلام الأئمة على الاصطلاح الحادث فغلط » (٥) .

(١) المستصفى ، ج ٢ : ٢٥ .

(٢) المستصفى ، ج ٢ : ٣٠ - ٣١ .

(٣) الإحكام ، ج ٢ : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٤) إعلام الموقعين ، ج ١ : ٣٢ .

(٥) نفس المرجع ، ٣٥ ؛ وفيها يورد كثيراً من النواحي المراد بها التحريم ، وذلك في الربع المفتتح بقوله تعالى : « وقضى ربك » من سورة الإسراء .

والعل من الطريف حقا ما ذكره هذا الإمام بعد ما تقدم مباشرة ، وذلك بخصوص فهم تعبير : « لا ينبغي » على معنى لا يمكن أن يريد الله ورسوله ، وهذا حين يقول : « وأصبح غلطا منه من حمل لفظ الكراهة ، أو لفظ لا ينبغي في كلام الله ورسوله ، على المعنى الاصطلاحي الحادث . وقد اطرّد في كلام الله ورسوله استعمال : « لا ينبغي » في المحظور شرعا أو قدرا وفي المستحيل المحتنع ، كقوله تعالى : وما ينبغي لأرحمن أن يتخذ ولدا ، وقوله : وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، وقوله : وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم ، وقوله على لسان نبيه : كذبني ابن آدم وما ينبغي له ، وشتمني ابن آدم وما ينبغي له . وقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، وقوله في لباس الحرير : لا ينبغي هذا للمتقين ، وأمثال ذلك » .

وبعد ! فإننا نستطيع أن نخرج مما تقدم كله بهذه النتائج :

(١) أن النهى عن عقد من العقود ، كالبيع ونحوه ، يراد به التحريم ؛ لأن النهى حقيقة في هذا في اللغة ، ولا يُصرف عن هذا إلا بقريضة .
(٢) أن النهى بالنهى على الفساد أقرب ، ولكن لا نرى — كما ذهب جمهور الفقهاء — أن النهى عن تصرف أو عقد يقتضى فسادا دائما ؛ بل قد يقتضى فسادا ، كما قد يقتضى كراهته فقط .

(٣) ومعنى هذا ، أن العقد أو التصرف المنهى عنه يكون فاسدا إن كان النهى عنه بسبب خلل في أركانه ^(١) أو لفوت شرط من شروط صحته ^(٢) . أو لأمر أو وصف غير مشروع قد لازمه ^(٣) .

(٤) . ونزيد على ذلك كله ، أنه يجب ألا تغفل أثر العرف في هذه الناحية ؛ فقد يُقَرَّر العرف الصالح لأنه يعتبر دليلا شرعيا لجواز بعض العقود والتصرفات التي ورد عنها النهى في السنة ، وذلك للحاجة إليها . ومن مُسْتَل ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ينهى عن بيع وشرط ؛ فقد أقر الفقهاء بعد عصر الرسول كثيرا من البيوع التي اقترن بها شرط أو شروط تدعو الحاجة الحقة إليها ، كما توسع الحنابلة — أو ابن تيمية وتلميذه ابن القيم — بخاصة — فأجازوا كثيرا من الشروط في العقود المختلفة العديدة ^(٤) .

(الحديث موصول)

(١) كأن يكون المبيع بضمن غير مال متقوم .

(٢) مثل الشهود في عقد الزواج .

(٣) ككون المبيع غير مقدور على تسليمه .

(٤) راجع في هذا ، عند غير الحنابلة ، ص ٤٢٢ من كتابنا : الأمران ونظرية العقد في الفقه الإسلامي ، صلاوحاشية . وراجع عند الحنابلة ، ص ٤٢٧ وما بعدها منه .

الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى

(٣)

أساس الدولة فى الإسلام كفالة حرية الفرد وحقوقه ، وضمان سعادة الشعوب فى ظل حياة مثالية لا مجال فيها للفوضى ، ولا لعدوان فرد على آخر أو حاكم على محكوم أو شعب على حقوق شعب آخر ؛ وبذلك يسود الأمن فى ربوع الدولة ويستقر السلام فى مجال العلاقات الدولية .

أما من ناحية حقوق الفرد فإن هذه الحقوق لا تستقر إلا إذا شعر الفرد بكرامته وأنه ليس عبداً لغيره من بنى الإنسان . ومن أجل ذلك كان أساس الدولة فى الإسلام دعوة الناس إلى الإيمان بالله وحده وتحريرهم من الشرك ، ومقياً أيقنوا أن القوة لله والحكم له والأمر إليه انهضت سلطة الطغاة من الملوك والأباطرة أو الكهنة والقساوسة الذين كانوا يزعمون أنهم ظل الله فى أرضه ، ومقياً عرف الفرد أن الحاكم — مهما علت رتبته — مخلوق مثله يولد ويمرض ويموت ، ويقف معه فى الحساب أمام الله انتفى الخوف من الحاكم ، ذلك الخوف الذى كان ينتزع الشعور بالحرية من صدور الناس ويحرمهم من المطالبة بأى حق ، وما دام الحاكم يقف مع المحكوم فى الصلاة صفاً واحداً بلا تمييز ولا مفاضلة ، تلاشى نظام الطبقات وأصبح الناس أمام القانون سواسية ؛ وهذا هو الأساس المتين فى بناء الدولة الحديثة .

وإننا لنلنسى فى أقوال الرسول الكريم وأفعاله تلك الدعائم التى شرعها الله للحكم بين الناس ، فى مجال القول تقرأ قوله عليه السلام إلى معاذ وقد بعثه إلى اليمن : « إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوم إليه عبادة الله تعالى ، فإذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم أن الله تعالى فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

والمعنى المستفاد من هذه العبارات الكريمة هو أن الدولة تحرر الفرد من الوثنية ، وتكفل سلامة النظام الاجتماعى بإقامة العدل بين الناس وتوزيع الثروة توزيعاً عادلاً لا يدع مجالاً للاسخط والتدمير أو الاندفاع وراء المبادئ الهدامة ، ولذلك فإن الإسلام

قد انفراد بفكرة من أسمى الفكر إذ جعل للفقير حقاً في مال الغني ، لاصدقة يمن بها الغني إذا أعطاها ويقبضها عن الفقير إذا كانت يده مغلولة إلى عنقه « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وفي مضمار الفتوحات والغزوات الإسلامية لم يستهدف المسلمون مغنم كنالك التي يتكالب عليها المستعمرون في العصر الذي نعيش فيه ؛ وإنما أراد الإسلام أن يكرم بني آدم وينتشلهم من مهاوى الضلال والهلاك ، وهل هناك ما هو أروع من هذه الكلمات التي وردت في صحيح مسلم ، إذ يقول النبي الكريم لأمرأه الجيش : « اغزوا على اسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . فإذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم إلى ثلاث خصال ، فأيتن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم ؛ ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، ثم ادعهم إلى التحول عن دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن أبوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فاسألمهم الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حصرت أهل حصن فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تفعل ، ولكن اجعل لهم ذمتك ، فإنكم إن تخفروا ذممكم أهون من أن تخفروا ذمة الله ، وإذا أرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تفعل ، بل على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا » .

ومن سياسة الإسلام أن القوى والضعيف أمام القانون سواء ، وأن الحرية هي دستور الحكم فلا يستعبد الشريف المشروف ولا الغالب للغلوب ، وقد سبق الإسلام جميع ثورات التاريخ التي قامت لتقضى على نظام الطبقات ، وضرب صاحب الرسالة العظمى أروع الأمثال ؛ خذ مثلاً قصة امرأة من بني مخزوم قد سرقَتْ فأُمِّمَ قريشاً شأنها ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد ربه ، فكلّمه أسامة فقال : « أتشفع في حد من حدود الله تعالى ثم قام فقال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقَتْ لقطعت يدها » .

والدولة الإسلامية تقوم على الشورى ، لأنها لا تستهدف كما ذكرنا إلا صالح المحكومين ولا تروم غير الخير العام ، قال تعالى مخاطباً صفية الكريم : « وشاورهم في الأمر » ، ولذلك لم يعرف الإسلام توريث الشعوب ، وجعل تعيين رئيس الدولة

بالانتخاب بشرط أن يكون ذلك بمعرفة أهل الرأي وأهل الفقه ؛ بل ذهب الإسلام في تقديس الحرية إلى أبعد من ذلك مدى ؛ فجعل لكل فرد من أفراد الشعب الحق في رقابة تصرفات رئيس الدولة ومساءلته وهذا ما لم تصل إليه أرقى الدول التي تدعى الديمقراطية في العصر الذي نعيش فيه ، وما حكاية المرأة التي ناقشت عمرا وألزمته الحجة ، حتى قال : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، إلا مثل من آلاف الأمثال التي تبصر الناس بفلسفة الدولة في الإسلام .

والإسلام قد تنزه عن تقديس الحكام والقادة وإيثارهم على سائر آحاد الدولة ، وهل هناك ما هو أقوى في الدلالة على هذا المعنى من قوله سبحانه وتعالى مخاطبا صاحب أعظم رسالة أخرجت للناس « إنك ميت وإنهم ميتون » « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » .

لنرجع قليلا إلى صفحات المجد الخالد كي نتفهم معنى السلطة ومعنى البيعة في الإسلام ، وكى نرى كيف أن الإسلام قد أباد الخرافة التي ظلت آثارها في دساتير الدول الحديثة وآخرها دستور مصر في سنة ١٩٢٣ : تلك الخرافة التي كانت تقول بحق الملوك المقدس ، لنقرأ هذه الصفحات وننشرها على الناس من جديد ، حتى يفقهوا من ضلالتهم ، ويعرفوا معنى السلطة ومعنى الدولة في الإسلام .

هذا أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق ، الذي ذكره الله في القرآن « ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ، إن الله معنا » تمت البيعة للصديق واعتضت فاطمة ابنة الرسول وزوج علي بن أبي طالب وراحت تحاور أبا بكر وتقول له : لأدعون الله عليك في كل صلاة أصلها ، نخرج الخليفة للناس باكيا وقال لهم : « يبيت كل رجل منكم معانقا حليته ، مسرورا بأهله ، وتركتموني وما أنا فيه ، ولا حاجة لي في بيعتكم ، أقبلوني بيعتي » وقال الناس : « يا خليفة رسول الله ، إن هذا الأمر لا يستقيم ، وأنت أعلمنا بذلك ، إنه إن كان هذا لم يقر الله دين » فقال : « والله لولا ذلك ، وما أخافه من رخاوة هذه العروة ، ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة ، بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة » .

رؤى الخليفة الأول يوماً في سوق من أسواق المدينة على كتفه حلة شاة ، ففرغت عشيرته لذلك وقالوا له : قد فضحتنا بين المهاجرين والأنصار والعرب . فقال : « أفأردتم مني أن أكون ملكا جباراً في الجاهلية ، جباراً في الإسلام ، لا والله لا تكون طاعة العرب إلا بالتواضع لله ، والزهد في هذه الدنيا .

ومع هذا التواضع المطلق كان الصديق موضع إجلال بكل ما في الإجلال من المعاني ، فما خرج إنسان عن طاعته ، وما جسر أحد أن يجهر بذات نفسه ، وقد ضبط الأمور بيد من حديد ولم يترك في خلافته سبيلا إلى الشهوات وهو الذي لا ينعم بشيء مما ينعم به الحكام ؛ بل كان في الزهد والتواضع والنسك على مثال صاحبه عليه السلام .

وقام على أمر الدولة بعد الصديق عمر بن الخطاب ، صاحب الفتوح العظام في كل بلد فكان أول ما قاله مستهلا حكمه :

« أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ له الحق ، ولا أضعف عندي من القوى حتى آخذ الحق منه » . وكان يستعمل العمال فيقول فيهم : « إني لم أستعملكم على أمة محمد ، على أشعارهم ولا على أبشارهم ، وإنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل . لا تجلدوا العرب فتذلوا ، ولا تجمروها فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها » .

فما تقدم قليل من كثير ، يبين فكرة الدولة في الإسلام وأنها قامت لتهدى الناس إلى الصراط المستقيم وتزيلهم من ربة الظالم جملة وتكفل لهم الرزق الحلال وتدفعهم إلى العمل النافع وتنههم عن العدوان على حقوق الغير ، وتشعرهم في جميع تصرفاتهم وسائر شئون حياتهم اليومية أن القوة لله والحكم لله وأن الله محاسبهم على ما قدمت أيديهم وما يساور نفوسهم . ولعمري لو بقيت هذه الدولة قائمة لساد السلام ربوع الأرض ، ونجت الإنسانية من الحروب والمجازر والظالم ؛ ولكن الصليبية الحمقاء قد تأمرت على هذه الدولة مبكراً وحشدت لها منذ ظهور الدعوة المحمدية واستمرت تناصبها العداء قروناً وأحقاباً ، وأتيح لها أن تغزو المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم ونظام معيشتهم وأساليب الحكم في بلادهم فانحلت عروتهم واضمحلت قوتهم وضعفت عصبيتهم وأصبحت ديارهم مستعمرات ومحميات ووصايات ، يرتع فيها الكافرون بالله للشكرون لرسالة نبيه عليه السلام ، فينهبون ويقتلون ويسرقون ويرتكبون كل منكر ، وورثة الرسالة العظمى منصرفون عن واجبهم ، غارقون في سكرات اللوت والحرمان من الرحمة في هذه الحياة الدنيا ، ولا نجاة للمسلمين مما هم فيه ، ولا سبيل لإقامة علاقات دولية على أسس سلمية إلا إذا وقفت الحرب الصليبية المستعرة ، ورجع المسلمون إلى ربهم وجعلوا دينهم هو دستور الحكم في بلادهم .

وهذا هو الحل الوحيد لمشكلاتنا كما سنثبت بالبراهين والأدلة القاطعة ، إذ نوفي في المقالات التالية فكرة الدولة في الإسلام بالشرح والبيان .

صفحة من السيرة

أوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير إلى المدينة يدعو أهلها بدعوة الله ...
فخرج به أسعد بن زرارة — يوما — إلى دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وجلسا يتحدثان
ويبلغان ، فاجتمع عليهما رجال ممن أسلموا ، وأسلم إذ ذاك أسيد بن حضير ، واحتال هذا على
سعد بن معاذ ليذهب إليهما ، ويستمع منهما ... وكان سعد سيداً مطاعاً في قومه ، وكان بينه
وبين أسعد بن زرارة قرابة ، فذهب ، ودخل عليهما مفضياً متشهماً ، والتفت إلى أسعد وقال له :
لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني . أتفشاننا في دارنا بما نكره ؟
فقال له مصعب : أوتقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا
عنك ما نكره ؟

قال سعد : أنصفت ! — ثم ركز الحربة وجلس ؛ فعرض عليه مصعب الإسلام ،
وقرأ عليه القرآن ...

يقول مصعب وأسعد : عرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسبله .
ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا : تغتسل فتطهر وتطهر
ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ،
ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير .

فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم
فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا : وأفضلنا
رأياً ، وأبعثنا نقيية ، قال : فكلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ! .
يقول مصعب وأسعد : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة
إلا مسلماً ومسلماً (١) ! ! .

وقفت أمام هذه الصفحة من السيرة مأخوذاً ... ؟ وقرأت فيها أشياء كثيرة ...
قرأت في هذه الكلمات : « نخرج به أسعد » : مدى الجهد الذي شق به الدعاة طريقهم
قبل أن يرتفع للدعوة لواء .

وقرأت في كلمات مصعب : « أوتقعد فتسمع ؟ » إيمان الداعي بدعوته وثقته بها .
وقرأت في كلمة سعد : « أنصفت » رجولة كانت في الجاهلية ! .
وقرأت في كلام مصعب وأسعد : « عرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم . . » لفنة
نفسية رائعة كان يجيدها الدعاة الأولون .

وقرأت أن مطلع هذا الدين الغسل والطهارة : أوله النظافة !
وقرأت في خبر سعد مع قومه بعد أن أسلم مشولية ذوى الكلمة الطاعة في قومهم .
وخطورة حساب الله لهم ! !

ذلك كله في صفحة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ألا ما أشد حاجتنا إلى قراءة السيرة ! !

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ! مَا أَنْتَ؟

للامام الشهيد حسن البنا

« يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ »

أيها الإنسان ما أنت ؟

أما نحن المؤمنون المصدقون فنقول :

أنت لطيفة ربانية ، ونفحة قدسية ، وروح من أمر الله : خلقك بيديه ، ونفخ فيك
من روحه ، وفضلك على كثير من خلقه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك الأسماء كلها ،
وعرض عليك الأمانة لحملتها ، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، وسخر لك ما في
السموات وما في الأرض جميعاً منه ، وكرمك أعظم تكريم خلقك في أحسن تقويم ،
وأعدك أكل إعداد ، وهب لك السمع والبصر والفؤاد ، وأوضح لك الطريقين ،
وهذاك النجدين ، ويسر لك السبيل ؛ فأنت بإذنه وصنفته تقوص في الماء ، وتسابق
الكهرباء ، وتحطم الذرات ، وتتجاوز بتفكيرك وتقديرك أقطار السموات . فهل
رأيت أجل وأعظم وأطهر وأكرم :

دواؤك فيك وما تبصر دواؤك منك وما تشعر

وزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت بعد هذه الحياة القصيرة خالداً لا تبعد : تحيا وتنشر ، وتبعث وتحشر ، وتستأنف
حياة الكرامة في دار النعيم والمقامة إن كنت أدركت سر مهمتك في الوجود فأخلصت
العمل للملك العبود : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق
وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

وما الموت الذي تخشاه إلا ثقل من هذه الحياة إلى تلك الحياة :

« وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » وما هذا الجسم إلا قفس أنت
فيه من المسجونين ، وثوب تخله إلى حين ، ثم يعود إليك يوم الدين . ورحم الله العارف
إذ يقول :

أنا عصفور وهذا قفصى طرت عنه وبقي مرثها

أنا في الصور وهذا جسدى كان ثوبى وقميصى زمنا

وَأَنَا الْآنَ أَنَا جِي مَلَأُ وَأُرَى اللَّهَ جَهَاراً عَلَناً
لَا تَظُنُّوا الْمَوْتَ مَوْتاً إِنَّهُ لَيْسَ إِلَّا تَقْلَةً مِنْ هَاهُنَا

ويقول الماديون الجدليون : أنت أيها الإنسان حفنة من تراب ونطفة من أصلاب ،
قذفت بك الأرحام ، وأفتتكَ الأيام ، وابتلعتك الرجام ثم لا شيء بعد ذلك « من يحيي
العظام وهي رميم » ؟

كذلك قال قديماؤهم : « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر »
وهكذا قال محدثوهم :

أثر أنت من تفاعل العناصر المادية والتطورات الفيزيولوجية ؛ فالشعور
والوجدان والفكر والإدراك والعزم والإرادة ، كل أولئك من آثار المادة الصماء ،
وتنتائج اختلاط التراب بالماء ، وما الحياة إلا هذه الأيام المعدادات تقضى فيها اللبانات
وتنتهز الفرص للذات .

إنما الدنيا طعام وشراب ومنام
فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

تلك يا أخى قضية الحياة إن أنعمت فيها النظر وأجأت فيها الفكر ، ولم تكن من
الغافلين المستهترين بوجودهم المحقرين لإنسانيتهم ، استطعت أن تحدد في الوجود غايتك ،
وأن تبين وسيلتك .

وكل الذى أنصح به أن تغلو إلى نفسك ساعة من ليل أو نهار لترى أفضل الرايين ،
وأثر الخطئين في حياة الفرد والجماعة ؛ حتى إذا اقتنعت بالرأى الأول وهو الفطرة أقبلت
على نفسك فاستكملت فضائلها ، وموت بها عن سفاسف الأمور وصغار الغايات ،
ووصلتها برهبها العلى الأعلى وطهرتها بذكره وطاعته ومراقبته وخشيته ؛ ومن عرف
نفسه فقد عرف ربه :

قد رشحوك لأمر لو فطنت له ١ فارباً بنفسك أن ترعى مع الحمل
ولا تستغرب أن يختار بعض الناس الرأى الثانى فهو الفتنة أو الهداية « واتل
عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا
لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فنهله كمثل الكلب : إن تحمل عليه
يلهث أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم
يتفكرون » .

ألهمنا الله وإياك الرشد وهدانا سواء السبيل . آمين .

وزارة المعارف العمومية (المصرية)

مكتب الوزير

تفريع «المُسْلِمُونَ»

هذه مجلة تبحث في شئون الدين الإسلامى من شق نواحيه ، وتهدف إلى صورة حقيقية لهذا الدين في إطار من الدراسة الواعية . ومن أهم ما يمتاز به المجلة أنها تنجّه بأبحاثها إلى آفاق متعددة تربط بينها وحدة الهدف ؛ وهى إبراز القيم الروحية للإسلام ومدى أثرها في الحياة الإنسانية .

أما كتاب المجلة فأكثرهم من الشهود لهم بالتخصص فيما يكتبون ، فضلا عما هو معروف عنهم من الإخلاص لرسالة الإسلام الروحية والاجتماعية أما أسلوب الكتابة فيها فقد روعي فيه الوضوح والبساطة حتى يكون في متناول أفهام القراء .

وعلى ضوء هذه الخلاصة لأهداف المجلة واتجاه رسالتها الثقافية ترى إدارة المكتبات بالإدارة العامة للثقافة أن تنفع بها مكتبات المدارس الثانوية وما في مستواها من مراحل التعليم بواقع نسختين لكل مكتبة ؛ حتى يزود الطلاب بما هم في حاجة إليه من ثقافة ، عمادها الصلة الوثيقة بين الدين والحياة .

إمضاء (أنور المعداوى)

المدير العام للثقافة
(إمضاء)

يكتب خطاب دورى لمدارس الثانوية وما في مستواها بالتوصية بالاشتراك في هذه المجلة .

وزير المعارف
(إمضاء)

سجّات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

الضلال الكبير منه الضلال الصغير

لو أن رجلاً قصد إلى غاية فسار على طريقها ثم مال يمنة أو يسرة فخاد عن الجادة أذرعاً قليلة وتمادى في مسيره لبعده عن الطريق آلاف الأذرع بعد قليل . وإذا ذرع ذراع طريقاً بذراع يزيد قيراطاً أو ينقص صارت زيادته أو نقصه آلاف القراريط ثم آلاف الأذرع على قدر طول الطريق . وهكذا الكيل والوزن والعد يؤدي فيها الغلط اليسير إلى الغلط الكبير . والعالم الباحث إذا أخطأ في قاعدة من قواعده قليلاً عظم هذا الخطأ في مذهبه وتضاعف في تحويله كثيراً .

وأكثر المذاهب الضالة تحيد عن القصد بشبهة في المبدأ فتصير فساداً عظيماً في النهاية كالذين توهّموا أن أخوة البشر تقتضى إزالة أسباب التنافس بينهم فأباحوا الأموال والنساء . ونشأ من وهمهم في أخلاق الناس البوار كما تنشأ النار من الشرار .

وفي كتاب الكستان للشيخ سعدى أن بعض الملوك نهى الجند عن نهب شيء ولو بيضة ، قائلاً أن أساس الظلم كان ضئيلاً فما زال الناس يبنون عليه حتى بلغ ما بلغ . فليحذر المفكر والعامل الضلال اليسير ولا يعتقره ، فهو كبير في معناه وهو عسير في منتهاه .

أن الكسف تحجب الشمس ، وقيل أن هدياً انحى على عين إنسان فخل إليه أنه يرى الهلال في السماء

بين المظاهر والحقائق

من لم تشغله الحقائق عنى بالصور ، ومن أعوزته المعاني دار مع الألفاظ ، ومن لم تستأثر به عظام الأمور شغلته صغائرها . ومن لم يعتد بعلم أو خلق أو عمل نافع ألع باللباس والزينة والأثاث والمال ؛ وهكذا تستطيع أن تعدد الأمثال ، وتوالى القول على هذا المنوال .

ومن أجل ذلك كان العلماء والمصلحون والأخيار في شغل بعلومهم وأعمالهم عن العناية بالصورة ، وفي كلف برعاية الباطن يصرفهم عن رعاية الظاهر .

وليس عيباً أن يجمع الإنسان بين الحقيقة والصورة ، وبين الظاهر والباطن ، وبين جمال النفس وزينة الجسم ، ولكن العيب أن يركن إلى الصورة والظاهر ، ويستعين بالحقائق والبواطن

أثار في نفسي هذه الفكر أني سمعت الليلة محدثاً في إذاعة لندن يصف دار جريدة التايمس ، وناهيك بالتايمس صيتاً وسلطاناً ، وغنى ومكانة ، في المشرق والمغرب يصف هذا المتحدث دار التايمس فقال إنها دور عتيقة موصل بعضها ببعض ، يسير زائرها في طرق ملتوية ويمر بأبواب قديمة ، ولا يجد أبهة في مجالس الكتاب والمديرين ولا زينة في أثاثهم .

قلت اكتفوا بالحقائق الجليلة الغنية عن العناية بالمظاهر والتجمل بالبناء والأثاث

المحاربة بالحنافس

سمعت ذات ليلة في إذاعة لندن أن حكومة ألمانيا الشرقية الخاضعة للروس تتهم الولايات المتحدة بأنها تلقى من طائراتها ضرباً من الحنافس اسمه خنافس كلورادو ، وهي من أشد آفات البطاطس .

وقد ردت بعض الصحف البريطانية بأن هذه الحنافس منتشرة في شرق ألمانيا وجنوبها وأقاليم أخرى ، وأنها سريعة الانتشار وقد عبرت نهر الميسسي ، وهي تعبر الأنهار ، وتغير من بعض الجزر البريطانية إلى أوروبا ؛ فليست في حاجة إلى أن تحمل في طائرات وتلقى منها . وقد سمعت جريدة مانشستر جارديان الإنجليزية هذه الحنافس بالحنافس الفاشستية .

سمعت الإذاعة وضحكت ، والتفتت إلى سيدة في المجلس فأخبرتها الخبر . فقالت أفعال صيبانية . قلت أجل ، إن كان الخبر كذبا فالدين اخترعوه صيبان ، وإن كان صدقا فالدين ألقوا الحنافس صيبان ، ولكنهم صيبان سوء . وحسب أوروبا أن تباع في عدائها وحربها هذا المستوى ، وحسب العالم صفاراً وعاراً أن تشغل دوله وجرائده ومذيعاته بمثل هذه التهم ، ومثل هذا الجدل . والله المستعان .

البيت العتيق

للأستاذ علي أحمد باكثير

- المنظر : (حول البيت العتيق وقد أوشك أن يتم بناؤه . إبراهيم وإسماعيل يعملان في ذلك مجتهدين) .
- إبراهيم : ما بالك صامتا اليوم يا إسماعيل ؟
- إسماعيل : إني أردد في سرى ما سمعته منك : «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم»
- إبراهيم : قد سمع الله لنا يا بني وهو السميع الحبيب ، ولكن هلم نتحدث . أو قد مللت حديثي يا إسماعيل ؟
- إسماعيل : معاذ الله يا أبي ، ولكننا قد أوشكنا أن نفرغ من عملنا هذا فلو صبرنا قليلا عن الحديث حتى لا يشاغبنا عن إتمامه اليوم .
- إبراهيم : كلا يا بني بل الحديث أعون على احتمال الجهد دون أن نشعر بالجهد . أو لا تعرف المثل الذي يقال في ذلك ؟
- إسماعيل : بلى يا أبت . يقولون هنا : احملي وأحملك !
- إبراهيم : قول بديع ! في معنى المثل الذي نقوله بالشام بيد أن هذا أخف وأروع .
- إسماعيل : لوددت يا أبي لو أحسن لغتك كما تحسنها أنت فينطلق بها لسانى كما ينطلق بلسنة أحمائى هؤلاء .
- إبراهيم : بل يا ليتنى أحسن لغتك هذه فأكلك بها فهمى أشرف وأكرم .
- إسماعيل : وكيف ذلك ؟
- إبراهيم : بهذه اللغة يا إسماعيل سينزل الله ذلك الكتاب الكريم على الرسول العظيم من ذريتك ، فتكون لسان المهتدين به في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة .
- إسماعيل : (فرحا) إذن فلو أقمنا عندنا يا أبي فتعلمها !
- إبراهيم : وأنسى لى ذلك يا بني ؟ لقد أمّرت بأن تكون هذه هجرة لله ، فلو أقمنا معك ما كانت كذلك . ويحك يا إسماعيل لو كان ذلك لى لقد كانت هاجر

أمك أخرى منك ، بأن أقيم معها (تخالط صوته رقة) وألا أدعها تموت
هنا وحدها دون أن تراني !

إسماعيل : ويحك يا أبى لشد ما أطعت ربك وصبرت !

إبراهيم : (يتجلد) ما أنا إلا عبد الله يا إسماعيل أوامر فأطيع . إن الله قد اختارك
أنت أبا لتلك الأمة العظيمة ولم يخترنى .

إسماعيل : لكنك أبى فأنت إذن أبوها .

إبراهيم : صدقت ولكن الله قد شاء أن يجعلنى أبا للملة كلها : ملة التوحيد والإسلام
مهما تختلف أنسابها وألوانها وديارها ولم يجعلنى أبا لأمة دون أمة .

إسماعيل : بخ بخ لك يا خليل الرحمن !

(تقبل امرأة إسماعيل)

إبراهيم : مرحباً مرحباً بزوج البعل الكريم وأم الشعب العظيم !

هى : الفضل فضلك يا عماء . أنا هى العتبة وأنت الذى بنشيتها أوصيت !

إبراهيم : بل الفضل فضلك يا بنتاه إذ وجدتكم شكوراً صبوراً ، فكنت جديرة أن
تلدى ذلك الشعب .

إسماعيل : (كأنه لا يريد أن تشغلها امرأته عن عملها) هل من حاجة أقضيها لك ؟

هى : لا حاجة إلا أن إخوانى وأبناء عمومى هؤلاء ما زالوا يلحون على لتأذنا

لهم فيعينوكا على رفع هذه البنية

إسماعيل : لقد قلنا لهم من أول يوم إن هذا أمر الله سبحانه وتعالى ننفذه كما أمر .

إبراهيم : أجل فاعتذرى لهم واشكركهم فكأن قد أعانونا محمودين .

هى : لم يشاءوا أن يقتنعوا بذلك وظلوا يظنون أنكم ما امتنعنا إلا كراهية

أن تحملاهم رهقاً . وإنهم لفتيان أشداء وإنهم ليجبون إسماعيل وأباه

ويحز في صدورهم أن يابى الضيف الكريم عليهم التكرمة !

إسماعيل : فقولى لهم إن البنية قد أوشكت أن تتم . ألا ترين ؟

هى : ذلك أخرى أن تأذنا لهم اليوم فتطيب نفوسهم !

إسماعيل : ماذا ترى يا أبى ؟

إبراهيم : لا أدري والله ، زيدا أن نطيع أمر ربنا ولا نحب أن نسيء إلى قوم كرام محسنين

إسماعيل : أمر ربنا إذن أجدر أن نرعه . ارجى إليهم فقولى

إبراهيم : بل رويدك ! حديث الفداء لعالم يقتنعون بأن أمر الله لا هوادة

فيه . ألم تحدثها بذلك يا إسماعيل ؟

هي : بلى يا عماء . إذ رأيت في المنام أنك تذبح ابنك فعزمت أن تنفذ أمر الله
لولا أن فداء الله بذبح عظيم ؟
إبراهيم : أجل أجل هو ذلك .

هي : آه ! لولا ذلك الفداء ما فزنا بك يا إسماعيل !

إبراهيم : فلتحدثي به فتيان قومك ولتقولي لهم إن هذا الأمر مثل ذلك .

هي : (فرحة) الآن يا سيدي أستطيع أن أقنعهم .

إسماعيل : قولي لهم : حسبنا فضلا منهم أنهم يعطوننا من صيدهم منذ شغلت أنا
عن الصيد .

هي : (في دلال) لا يا إسماعيل . . . هذا وحده غير مقنع ! سأضئ الساعة
لإقناعهم ثم أعود إليك بالفداء .

إسماعيل : بل أخرى غدا نأحق نفرغ من عملنا فما بقي منه إلا قليل .

هي : الضيف هو الأمر يا إسماعيل !

إبراهيم : كلا ما أنا بضيف يا بنيق ولكني جعت وتعبت .

هي : إذن فقد أمرت ! (تخرج)

إبراهيم : (معجبا) ما أذكاه وأنجبها ! إن فيها لمشابهة من هاجر !

إسماعيل : (يضحك) لها الله . لقد شغلتنا عن العمل .

إبراهيم : (يقف عن العمل) دعنا نستريح قليلا يا بني .

إسماعيل : أنا ما جعت بعد يا أبي ولا تعبت . ما بقي غير هذا الصف الواحد من اللدر
ثم نستريح .

إبراهيم : ذلك أخرى أن نستريح الآن .

إسماعيل : سأقرب بعض الحجارة ريثما تعود زوجي بالفداء .

إبراهيم : أتعصى أباك يا إسماعيل ؟

إسماعيل : (يلقي كل ما بيده) معاذ الله يا خليل الله . إني سامع ومطيع .

إبراهيم : هلم نجلس فوق تلك الصخرة العالية .

(يريان الصخرة فيجلسان) .

إبراهيم : (ينظر إلى خيام الجرهميين) ما شاء الله . هذه أخبية أحمائك من جرم !

الحمد لله إذ استجاب دعوتي فجعل أئدة من الناس تهوى إليكم .

إسماعيل : أجل يا أبت . كل يوم يطنب بيننا أهل خباء جديد .

إبراهيم : بارك الله في زمزم ! وبارك على صاحبها الصديقة المصرية أم إسماعيل وأم
السيد المختار من ولد إسماعيل !

إسماعيل : (تندى عيناه بالدمع) ليها يا أبى تشهد هذا اليوم ! !

إبراهيم : (يتجلد) ما عند الله خير لها وأبقى يا بنى . (يتنهد) آه ! ما أسرع كرور
السنين . لكأنما كان ذلك أمس إذ بلغت بكما هذا المكان فأنزلتكما به
وأنت بعد رضيع لم تظلم ، وليس به يومئذ ماء ولا أنيس وما معكما غير
جراب تمر وسقاء ماء . فلما أردت المضى صاحبت بى أمك : يا إبراهيم أين
تذهب وتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ فوقفت حزينا
لا أحيى جوابا ؛ فلما رأيت ذلك منى قالت : آله أمرك بهذا ؟ قلت نعم .
قالت : إذن لا يضيعنا فامض حيث شئت . فانطلقت يا بنى أريها أنى جلد
لثلا يحزنها حزنى حق إذا كنت عند تلك الثنية حيث لا ترائى عينها استقبلت
هذا البيت بوجهى ودعوت الله لها ولك تلك الدعوة .

إسماعيل : هى حدثتني أنها كانت يومئذ تخشى على وعلى نفسها سباع الوحش وسباع
الإنس . فلما قلت أنت لها إنه أمر الله سكنت واطمأنت .

إبراهيم : أجل يا بنى . الله أعلم حيث اختار . لو لامرأة أخرى قبل ذلك يومئذ
ما آمنت ولا اطمأنت . (يتنهد) إن لله يا بنى لحكمة فى كل شيء . ألهم سارة
خالتك أن تغار منك ومن أمك ليكون سبباً لعمارة بيته هذا العتيق
وليجعل لى ولك شرف بنائه وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود .
(تعود امرأة إسماعيل تحمل مكتلا وسقاء)

هى : ألا تنزلان لغدائكما ! أم أصعد إليكما به ؟

إبراهيم : أنزل يا بنى نخذه منها .

(ينزل إسماعيل فيأخذ المكتل والسقاء منها ويصعد)

إبراهيم : ما ذا صنع الفتيان يا بنتاه ؟ اقتنعوا ؟

هى : نعم يا عماء وطابت نفوسهم .

إبراهيم : الحمد لله .

هى : إذا شئتما مزيداً من هذا الشواء فعندنا المزيد

إبراهيم : بارك الله فيك . . .

هى : (باسمه) يا أم الشعب العظيم ! (تنصرف)

(يضحك إبراهيم وإسماعيل)

- إبراهيم : بسم الله الرحمن الرحيم (يأخذ في الأكل)
 إسماعيل : بسم الله الرحمن الرحيم (يأكل في غير نية كمن شغل فكره بشيء)
 إبراهيم : ما خطبك يا بني ؟ ألم يعجبك هذا الشواء الطيب ؟
 إسماعيل : بلى يا أبت إنه لأفضل ما عندنا من الطعام
 إبراهيم : فمالى أراك لا تأكل بنية مثلى ؟ أى شيء يشغل بالك ؟
 إسماعيل : حق تفرغ من طعامك كيلا أشغلك عنه
 إبراهيم : بل حدثنى الآن . إن الحديث على الطعام لمستحب
 إسماعيل : سمعتك تذكر سارة خالتي وحكمة الله في مهاجرتك بي وبأمي
 إبراهيم : أجل هنا انقطع حديثي معك آنفا
 إسماعيل : فهل لى أن أسترزبك علماً ؟
 إبراهيم : افعل يا بني الحبيب . سلنى ما تشاء
 إسماعيل : فيم اختار الله هذا الوادى القفر ليكون دار هجرتنا أنا وأمي ؟
 إبراهيم : ويحك يا بني . لمكان بيته المحرم هذا .
 إسماعيل : وفيه جعل بيته المحرم هنا فى هذا المكان الجديد ؟
 إبراهيم : ويحك أضقت ذرعاً بالعيش هنا يا إسماعيل ؟
 إسماعيل : كلا يا أبى . إني لأحب هذا الربع ولا أعدل به جنات الأرض .
 وحسبى أن أُمى فيه عاشت وبه دفنت ، وأنها رأت من الآيات يوم مقدمها
 ما جعلها تنعم به بالآل وتقر به عينا .
 إبراهيم : أجل إنها آيات بينات أكرمها الله بها ثم فضلها على نساء العالمين إذ جعل
 آثارها ومواطن أقدامها مناسك يؤديها حجاج بيته إلى يوم القيامة
 إسماعيل : ولكنى أشتى بعد يا أبى أن أعرف الحكمة فى اختيار هذه البقعة الجذباء
 من دون بقاع الأرض .
 إبراهيم : ويحك يا بني ألم أخبرك غير مرة أن الله قد بشرنى أن يبعث هنا رسولا
 عظيما من ولدك يكون خاتما لرسله إذ يضع ميزان الحق على الأرض فلا يرتفع
 عنها حق تقوم الساعة ؟
 إسماعيل : بلى يا أبى ولكن فيم هذا المكان الجذب لذلك الرسول العظيم ؟
 إبراهيم : أى بنى إن الله لم يوح إلى شيء فى ذلك . ولكن لعله جلت حكمته قد قضى
 فى سابق علمه أن يصون هذه البذرة الطيبة هنا فى معزل عن عواصم المشركين
 وملاحم الجبارين حتى يأتى ذلك اليوم الموعود .

إسماعيل : هذا حسن يا أبى ولكن إذا ظهر ذلك الرسول العظيم فى هذا الموضع القفر فلن يكون المهتدون به إلا قلة من الناس

إبراهيم : مهلا يا بنى لقد نهتني بسؤالك هذا إلى حكمة لله أخرى والله أعلم وأحكم

إسماعيل : ما هى يا أبى ؟

إبراهيم : كما يتيسر الله لتلك الأمة التى يبعث بين ظهرانيها ذلك الرسول فتهدى به

أن توفض من هذه البقعة فتنساح شرقا وغربا إلى حيث تنشر رسالته ودينه

فى منابت الزرع والضرع ومساقى الأنهار ومساقط الأمطار من ممالك

الأرض وأممها ، جريا فى ذلك على سنته التى لا تتبدل ، فيكون لتلك الأمة

ملك العالم وخير الدنيا والآخرة .

إسماعيل : (يتهلل وجهه بشرا) جزاك الله خيرا يا أبى الآن اطمأن قلبي .

إبراهيم : (يتنسم) فهيا إذن وآكلنى . فإنى لا أستطيع الأكل وحدى .

إسماعيل : حبا يا خليل الرحمن وكرامة (يأكل بنفس طيبة) عسى ألا تؤاخذنى فيما

ألححت عليك وأحفيت السؤال .

إبراهيم : كلا لقد سرنى هذا منك . أنا أيضا كنت فى شبابى طلعة مثلك . حق لقد

بلغ بى ذلك أن سألت رب العزة أن يرينى كيف يحى الموتى فقال لى :

أو لم تؤمن ؟ قلت بلى ولكن ليطمئن قلبي .

إسماعيل : فأراك ربك آية الطير الأربعة !

إبراهيم : (متلهلا) سمعتها يا بنى ؟

إسماعيل : من لسان أمى .

إبراهيم : أجل لقد كانت حافظة واعية !

إسماعيل : كل يا أبت . . . كل

إبراهيم : الحمد لله رب العالمين . أتمم أنت غداك

إسماعيل : الحمد لله رب العالمين .

إبراهيم : (ينهض) حى الآن على العمل !

(ينزلان من الصخرة ويستأنفان عملهما فى بناء البيت)

إبراهيم : ناولنى هذا الذى بيدك

إسماعيل : بل دعنى يا أبى أرفعه بنفسى إنه حجر ثقيل .

إبراهيم : (مبتسما) هذا دأبك معى يا بنى أو تريد أن تستأثر بالثواب من دونى ؟

- إسماعيل : يا أبت إن الثواب كله لك . فما أنا إلا ابنك وعملك الصالح إن شاء الله .
- إبراهيم : أجل ولكننا أمرنا أن نبني البيت معاً لا أن تبنيه أنت وحدك !
- إسماعيل : يا أبتاه لقد أمرك الله أن تستعين بي وهو سبحانه يعلم أنك شيخ كبير وأنى أنا شاب جلد .
- إبراهيم : (يضحك) صدقت يا بني . والله ما رأيت عيني في بلاد الشام ولا أرض الكلدان فني أجلد ولا أمتن منك . لله هذه الأرض التي ربك فشدت لحك وصلبت عظمك (ثم في رقة) والله . ابنة النيل تلك التي أرضعتك
- إسماعيل : (فرحاً) انظر يا أبي لقد فرغنا من بناء البيت ونحن لا نشعر .
- إبراهيم : الحمد لله ما بقي علينا إلا أن نختمه بهذا العلم .
- إسماعيل : ما هذا الحجر الأسود الذي جئت به ؟
- إبراهيم : نُثِّبته في هذا الركن ليكون للناس علماً يبتدئون منه الطواف .
- (يساعده إسماعيل في تثبيت الحجر الأسود)
- إبراهيم : (يستلمه ويقبله) طوبى لك من حجر : ليستلمك يوماً حبيب الرحمن وليقبلنك
- إسماعيل : حبيب الرحمن !؟
- إبراهيم : ابنك المختار يا إسماعيل . هذا من ألقابه . استلمه وضع شفيتك حيث يضع شفتيه
- إسماعيل : (يستلم الحجر ويقبله) ابني المختار . . حبيب الرحمن ؟
- (يسمع خفق لطيف بين السماء والأرض)
- إبراهيم : سيوح قدوس
- إسماعيل : يا أبت ما هذا ؟
- إبراهيم : هذا الروح الأمين يا بني
- إسماعيل : (متمتماً) جبريل !؟
- جبريل : (يسمع صوته) يا إبراهيم . . رب العزة أمرني أن أقرأ عليك السلام
- إبراهيم : (مبتهلاً) اللهم إنك أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام فإنا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام ، تباركت ربنا وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام .
- جبريل : وأن أبلغك أنه قد رضى عنك وعن ابنك إسماعيل فيما بنيتما وطهرتما من بيته هذا للطائفين والما كفين والركع السجود .

- إبراهيم : لك الحمد يا رب الحمد ما كنا لنرفع قواعده وحدثنا لولا عونك وخفي قدرتك
جبريل : وقد أذن لك أن تدعوه ما تشاء ليستجيب لك .
- إبراهيم : (يرفع يديه مبتهلاً) رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات
من آمن منهم بالله واليوم الآخر .
- جبريل : ومن كفر ؟
- إبراهيم : ومن كفر ؟
- جبريل : يقول ربك رب العزة : ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار
وبئس المصير . أتم دعاءك يا إبراهيم .
- إبراهيم : ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب
علينا إنك أنت التواب الرحيم .
- إسماعيل . (مبتهلاً كآبيه) آمين .
- إبراهيم : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم
- إسماعيل : آمين .
- إبراهيم : آمين يارب العالمين .
- جبريل : إن ربك يأمرك أن تؤذن بالحج إلى بيته في الخلق أجمعين .
- إبراهيم : أى جبريل أى خلق هنا ؟ إنما هى آيات قلائل .
- جبريل : أذن فى الناس عامة . . فى البشر كافة . . فى الخلائق أجمع !
- إبراهيم : وما يباغ صوتى يا جبريل ؟
- جبريل : ما عليك إلا أن تؤذن وعليه عز وجل البلاغ فليسمعن " صوتك جميع ما فى
أصلاب الرجال وأرحام النساء من يومك هذا إلى يوم القيامة
- إبراهيم : سبوح قدوس .
- جبريل : فليبين " نداءك كل من آمن بمن كتب الله له حج بيته مهما تكن داره
فى المشرق أو المغرب إلى يوم القيامة ، وليعجزن عن التلبية كل من لم يكتب
الله له الحج وإن يكن مقباً فى هذا الوادى على غلوة سهم من البيت العتيق .
- إبراهيم } سبوح قدوس !
إسماعيل }
- جبريل : ارق ذلك الشرف يا إبراهيم فأذن أذانك منه !

إبراهيم : أعنى يا بنى لأرقى هذا الشرف (يعينه إسماعيل)

جبريل : أذن ! الآن

إبراهيم : (بأعلى صوته) أيها الناس ! إن الله تبارك وتعالى قد كتب عليكم الحج إلى هذا البيت العتيق !

(تتجاوب الأصوات مدوية من قريب وبعيد بكلمات شق ولهجات متباينة)

إسماعيل : يا أبت ما هذا الدوى ؟

إبراهيم : ما هذا يا جبريل ؟ أهذه هى

جبريل : أصوات أجيال البشر التى كتب الله لها حج بيته العتيق .

إسماعيل : وماذا تقول يا أبت تلك الأصوات ؟

إبراهيم : ماذا تقول الأصوات يا جبريل ؟

جبريل : تقول بشق لغاتها ومختلف ألسنتها فى المشرق والمغرب : ليك ! ليك !

« ستار »



وما أنا من المكلفين

تكلنى الحديث يزيد همى ويبعدنى عن الحق المريح
وأنفع ما يفيد الناس منى حديثى حين أرسل فيه روحى
وأبعث خبئها حراً طليقا يطل عليك من نبع صريح

« أبو أيمن »

هل علمت؟!

● أن عدداً من أطباء الأسنان أمكنهم الحصول على خلاصة الغدة الدرقية الموجودة في الرقبة والغدة النخامية الموجودة بجوار المخ . . واستعملوها بنجاح لإنبات أسنان جديدة لمن تسقط أسنانهم أو تخلع . . وتحقق الخلاصة في الثلاثة أسابيع . . وبعدها تبدأ الأسنان الجديدة في الظهور .

● أن في أمريكا وحدها ٩ مليون شخص مصابين بأمراض عقلية . . أى بنسبة واحد في كل ١٦ ، وأن ٧٠٠ ألف منهم جنونهم خطير ويوجدون في مستشفيات خاصة ، وأثبت التقرير الطبي الأخير أن ٨٥٪ منهم قابلون للشفاء إذا بدى في علاجهم مبكراً . . وزيدت نفقات علاجهم بمقدار ٥ مليون دولار .

● أن الاستعدادات الضخمة من طائرات ونفاثات وأضواء كاشفة وسيارات ومبيدات حشرات ووحدات لاسلكية ومحطات الإذاعة ودور الصحف في أمريكا هذه الأيام . . ليس إلا لاستقبال البلايين من الجراد الذي ستنشق الأراضي في أمريكا عنه بعد أن اختفى بيضه في التربة سبعة عشر عاماً هي مدة الحضانة . . فان آخر فوج منه اختفى من أمريكا سنة ١٩٣٦ والآن حان موعد ظهوره . . وهو يسبب خسارة ملايين الجنيهات . . . ولذلك يسمونه « طاعون الجراد » .

● أن البيض الطازج ليس فقط مرغوباً فيه لأنه ألذ طعماً وأزهى شكلاً ولكن لأنه أكثر فائدة غذائية من البيض المخزن في الثلاجات . . . والعنصر الفعال في البيض وهو حامض الفوليك الذي يساعد خلايا جسم الإنسان على النمو يتناقص تدريجياً في البيض المخزن حتى يختفى نهائياً بعد أسابيع . . وكذلك يتناقص فيتامين ب المركب والبروتين الموجود في البيض .

● أن النحل الأبيض الذي يأكل الأخشاب سبب خسائر في الولايات المتحدة قدرها ٣٠ مليون جنيه في عام واحد . . .

● أن أحد الكيمائيين الألمان اكتشف معدناً جديداً رمادي اللون استخرجه من هباب المداخن وسماه ألمانيم نسبة لألمانيا .

● أن الأطباء اكتشفوا مرضاً اسمه « مرض الجوع » ومن أعراضه أن يشعر المريض بالجوع مهما تناول من طعام ، ويكون حاد الطبع سريع الغضب يبدو كأنه متعب دائماً . وسبب هذا المرض ازدياد كمية الأنسولين في الدم التي تحرق بسرعة كل المواد الغذائية التي تصل إليه . . . وذلك بعكس مرض السكر تماماً . . . ولم يكتشف الأطباء علاجاً لمرض « الجوع » سوى الإقلاع عن الكيفيات من سجائر وقهوة وشاي .

حَجَّ الصَّيْفِ !

للأمير الالاي الدكتور أحمد الناقه

كان الناس يقصدون البيت الحرام سعياً على الأقدام أو على الدواب والمراكب في طرق صعبة ومسالك وعرة وبحار واسعة من أقصى الأرض . وكثيراً ما فشت فيهم الأوبئة وأرهمهم الحر الشديد فمات منهم خلق كثير .

ولم يكن الحاج يبالي أن يقضى في الأرض المقدسة نحيبه ، بل ربما تمناء كما تنعم رفاته بجوار الكعبة أو مسجد الرسول .

واليوم وقد سهلت المواصلات بتمهيد الطرق وتحسين وسائل النقل وقلت الأوبئة بالتعليم والتطعيم لم يبق من مشاق الحج صيفاً إلا الحر الشديد .

وأرض الحجاز صحراء تلتهب رمالها بأشعة الشمس فتشع حرارتها إلى كل شيء فيسخن الهواء وترتفع حرارة الإنسان فيتولى جهاز العرق خفضها . وتبخر العرق عن الجسم ينظم حرارته . وجو الحجاز حار جاف يعين على التبخر حتى إن الجلد قد يبدو جافاً رغم كثرة العرق حين تزيد سرعة التبخر على سرعة العرق ، وهذا هو العرق الخفي ، وسواء أكان العرق ظاهراً أم خفياً فهو لازم لتنظيم حرارة الإنسان .

وتبرد الصحراء بالليل برودة يتقيها البدو بالملبس الواقى ، ولكن هذا لا غناء فيه عند القيظ ، وفي برد الليل تستريح غدد العرق ويسترد الجسم ما فقدته في العرق من ماء وملح وتنخفض حرارة الجسم فيستجم وتستعيد غدد العرق قدرتها على مجاهدة الحر في نهار الغد .

وكثير من بلاد المسلمين في أندونيسيا والملايو وباكستان وعلى الخليج الفارسي وأواسط أفريقيا حار رطب ، وأهلها أقل من أهل البوادي صبراً على الحر .

ويمكن تلطيف أثر الحر بتعديل المسكن والملبس والمأكل والمشرب والحركة والسكون . ففي الجو الحار يخف الحر بالملبس الخفيف الذي لا يعوق حركة الهواء ذي اللون الأبيض الذي يعكس أشعة الشمس ولا يمتصها . وفي الجو الحار الرطب قد لا يطيق الجسم الملابس مهما خفت لأنها تعوق الابتعاد بالهواء .

وليس الناس سواء في القدرة على احتمال الحر ؛ ويمكن زيادة هذه القدرة بالتعرض التدريجي للحر حتى يعتاده البدن وتقوى غدد العرق على الإفراز وتتسع شرايين الجلد

فتقل حرارة الجسم وأهل البادية والجفاف أقدر على الحر وأصبر من أهل المروج والرطوبة .

وفيما مضى كان السفر البطيء يهيئ فسحة من الوقت يدخل فيها الحاج على الحر تدريجياً فيعتاده . ولكن سرعة المواصلات اليوم قضت على هذا التدرج وعرضت الحاج لأذى الحر إذا قدم من جو أقل حرارة من الحجاز .

مضار الحر

وفي الحر تتسع شرايين الجلد فيسخن ثم يشع الجلد حرارته فيما حوله فيبرد وذلك يجهد الشرايين وأعصابها ويعطل في أوعية الجلد قدراً كبيراً من الدم لاغنى عنه لتغذية الأعضاء الداخلية . والقدرة على احتمال الحر تحتاج إلى سلامة الأوعية وقوة الأعصاب وكلاهما يضعف بالتصلب وكبر السن .

والعرق أهم عامل في مجاهدة الحر ولكن غزارته قد تضر بما يفقد الجسم من ماء وملح ، وقلة الماء يحسه الإنسان عطشاً فيشرب ولكن نقص الملح لا يحس فيتشأ عنه أمراض وأعراض يشفيها ملح الطعام .

وأكثر أذى الشمس يأتي من حرارتها لا من أشعتها وهي تصيب الإنسان بما يسمى « ضربة الحر » أو « ضربة الشمس » وهي على أنواع أهمها :

١ — إجهاد الحر : يصيب من لم يعتد الحر ومن يكثر الحركة ، وأعراضه شعور مرهق بالدفع . صداع . قصور الفكر . ضعف الذاكرة . خمول . ضعف عام . سرعة نبض . ضعف شهية الطعام . غثيان . سوء هضم . إمساك . قلق نفسي . اضطراب الحيض والجل . وقد تزيد هذه الأعراض بالحركة ودوام الحر حتى يحدث هبوط وإغماء ، وترتفع الحرارة . والعلاج : السكون والظل والتهوية والغذاء الخفيف المالح والماء البارد .

٢ — إجهاد الحر مع غزارة العرق : يقل الماء والملح في الجسم وتضاف إلى الأعراض السابقة أعراض هبوط دورة الدم والجفاف فيسرع النبض وينخفض ضغط الدم وتغور العينان ويحف اللسان وتقل مرونة الجلد وينقص البول وتضعف الرغبة في الطعام ، وربما حدث قيء واضطراب نفسي شديد وتقلص العضلات . ويبقى الجلد رطباً والعرق مستمراً ، والعلاج مخلول الملح بمقدار أربعة ملاعق كبيرة في أربعة لتر ماء أولاً ، ثم يعقبه نصف هذا القدر يومياً عوضاً عما يفقده الجسم في العرق والبول والتنفس .

٣ — إجهاد الحر مع قلة العرق : يصيب من ظهر على جلده طفح ثم زال .
وأهم أعراضه غزارة عرق الوجه وقلة عرق سائر البدن . ولعلاج لقلة العرق فقد يعود
العرق من تلقاء نفسه في بضعة أسابيع أو شهور . وإذا ارتفعت الحرارة لزم خفضها
بكل الوسائل الممكنة كبل الجلد وتهويته واستعمال الثلج إن وجد .

الوقاية من الحر

يستطيع الحاج أن يستعين على الحر حين تصح عزيمته على الحج بما يلي :

- ١ — الفحص الطبي وعلاج الأمراض عامة .
- ٢ — التقدم للتطعيم وقاية من الأوبئة .
- ٣ — التعود على الحر بالتعرض قليلاً كل يوم لحر الشمس .
- ٤ — إعداد أربعة أرطال ملح لاستعماله مصلحاً للطعام ومليناً للأمساك .
وفي الحجاز يلزم :

- ١ — تجنب الامتلاء والإقلال من اللحم والشحم والدهن والطعام الدسم .
- ٢ — قيام الليل ونوم النهار ولزوم المساكن والخيام والظل في القيظ .
- ٣ — اجتناب الإجهاد البدني وكثرة الحركة وقت الظهيرة .
- ٤ — لبس الأبيض الخفيف الواسع الذي يتخلله الهواء .

ويجب على حكومات المسلمين أن تفرض عليهم الفحص الطبي الإجباري حتى لا يتعرض
الضعفاء والمرضى والحوامل للتهلكة . وقد يمنع من الحج مثلاً : مرضى القلب وضغط
الدم العالي وتصلب الشرايين والبدانة وداء السكر ومثل الأمراض العقلية والعصبية لأن
الحر يهيجها وكذلك يجب التطعيم وقاية للناس من الوباء كالتيفود والكوليرا والجدرى
ثم العناية بإرشاد الناس إلى أمور الصحة والسكن والغذاء والكساء ونحوه .

وأولو الأمر في الحجاز جديرون بأن يعينوا على الحج إذا قاموا :

- ١ — تدبير المساكن الصحية والخيام المزدوجة والمظلات والاستراحات .
- ٢ — وتوفير الماء والغذاء والثلج بضمن ميسور .
- ٣ — والعناية بالطرق ووسائل المواصلات .
- ٤ — والاهتمام بالمرافق الصحية ومكافحة الذباب والحشرات .

ولو أنهم فعلوا لكان خيراً لهم لأنه يكثر الحجاج ويفريهم بأن يطيلوا المكث في
الأرض المباركة .

وإذا كان الحج مؤتمراً عاماً يجمع أهل الذكر من الحجاج لحل المشاكل التي تؤثر المسلمين في المشرق والمغرب ؛ فكيف يبقى هكذا بغير تنظيم ؟
ولعل فئة من أهل الطب تنقطع للارشاد الصحي بين الحجاج : تقيهم شر الأوبئة وتعلمهم قواعد الصحة . وربما كان ثواب هذا العمل الصالح أكبر درجة عند الله من ثواب العبادة بالمظهر واللفظ فحسب :
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .



الرجال ثلاثة : حازم وأحزم منه ، وعاجز ؛ فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش له ، ولم يذهب قلبه شعاعاً ، ولم تنح به حيلته ومكيدته التي يرجو بها الخروج منه .
وأحزم من هذا للتقدم ذو العدة ، الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه إعظاماً ويحتال له حيلة ، حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الأمر قبل وقوعه .

وأما العاجز فهو في تردد وطمأنينة وتوان حتى يهلك .

« ابن المقفع »

تأريخنا

جاءتنا هذه الرسالة الكريمة من فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا
رداً على سؤال أحد القراء الفضلاء :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد وصلني خطابكم ، وبه يستفهم السائل عن
العلة في أن كسب الحجام خبيث . وإليكم الجواب .

الأصل في ذلك حديث رافع بن خديج رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « كسب الحجام خبيث ومهر البغي خبيث وثمن الكلب خبيث » رواه الإمام أحمد
وأبو داود والترمذي وصححه ، والأصل في الحبيث الحرام وقد يراد به المكروه بقرينة
تصريحه عن الحرام . والمراد به في كسب الحجام الكراهة لا الحرمة ، قال الإمام
الخطابي في شرح هذا الحديث قد يجمع الكلام بين القرائن في اللفظ ويُفارق بينهما
في المعنى ، ويُعرف ذلك من الأغراض والمقاصد ، فأما مهر البغي وثمن الكلب فيريد
بالحبيث فيهما الحرام لأن الكلب نجس والزنا حرام وبذل العوض عليه وأخذه حرام ،
وأما كسب الحجام فيريد بالحبيث فيه الكراهة لأن الحجاماة مباحة ، وقد يكون الكلام
في الفصل الواحد بعضه على الوجوب وبعضه على الندب وبعضه على الحقيقة وبعضه على
المجاز ، ويفرق بينها بدلائل الأصول واعتبار معانيها . (قلت) والقرينة العارضة
لكسب الحجام عن الحرمة ما رواه الشيخان والإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال : « احتجم النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الحجام أجره ولو كان سحتاً (وفي
لفظ) ولو كان حراماً لم يعطه » انتهى . وفي القاموس : الحبيث ضد الطيب وقال السحت
بالضم وبضمين الحرام وما خبت من المكاسب . انتهى . وهذا يدل على إطلاق
اسم الحبيث والسحت على المكاسب الدنيئة وإن لم تكن محرمة . والحجاماة كذلك فيزول
الإشكال ، ولما كانت الحجاماة من الحرف الدنيئة كان لا يتعاطاها في الغالب إلا الموالى ،

ولذلك حكى الحافظ ابن حجر العسقلاني عن الإمام أحمد وجماعة الفرق بين الحر والعبد فكرهوا للحر الاحتراف بالحجامة وقالوا يحرم عليه الإنفاق على نفسه منها ، ويجوز له الإنفاق على الرقيق والدواب منها ، وذهب جمهور العلماء إلى أن كسب الحجامة حلال واحتجوا بحديث ابن عباس المتقدم وحملوا أحاديث النهي على كراهة التنزيه لأن في كسب الحجامة دناءة والله يحب معالي الأمور ، وليس بحرام لأن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأذن بالحجامة للانتفاع بها في بعض الأمراض وبإعطائه الأجر لمن حججه ولو كان حراما لما مكنه منه . والله أعلم ؟

وهذه رسالة كريمة من الأستاذ عيسى عبده إبراهيم أستاذ إدارة الأعمال بجامعة إبراهيم تبين أن الإنجليز يقذفون أرض الجزيرة العربية بالحلم في سبيل اغتصاب البترول: حضرة الأخ المحترم الأستاذ سعيد رمضان .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد هذه تذكرة من الأحداث الجارية . أردت أن أبعث بها على صفحات « المسلمون » للتنبيه واتخاذ العدة ، وللتسجيل في سفركم الدوري الباقي طويلا بإذن الله ، حتى يطلع عليها القراء في يومنا هذا ، وحق يرجع إليها الأبناء فيما يتزودون به لإثارة الحماس ، يوم يأذن الله للعرب بالغضبة الكبرى فيطهرون أرضهم من دنس المدينة العربية الجائرة ، ويستخلصون موارد بلادهم من مغتصبها الغشوم .

هي تذكرة ليومنا هذا ، وتذكرة للغد القريب والبعيد على السواء ، لأن كفاح الاستعمار يقتضينا الحشد والصبر ، بل مداومة الحشد لمعارك اقتصادية ، تمهد لتطهير أرضنا وغسلها بدماء الغاصبين .

قالت الأبناء بأن الإنجليز قد ضربوا القبائل العربية حول واحة البوريمي ، وحشدوا لاعتدائهم هذا حشوداً من القوات البرية والجوية ، وأن الحال تتخرج وتندرج بنزاع مسلح بين الإنجليز وبين القبائل الموالية للمملكة السعودية . . . وقد تكررت هذه الأنباء في الشهور الماضية ، وعادت النذر تتكاثر من جديد .

وأسباب هذا النزاع معروفة ولا تحتاج إلى مزيد من البيان . بل يكفي أن نذكر طرد الإنجليز من عبدان وبالتالي حرمانهم من بترول إيران ، وضياح بترول الخليج الفارسي من أيديهم حين سبقت إليه الولايات المتحدة . . فالإنجليز إذن يتلمسون الأسباب والمعاذير لتثبيت أقدامهم في أية أرض تشتم فيها رائحة البترول .

ولما كانت أرض العرب — في نظرهم — مضيعة ، ليس يغضب من أجلها شعب قوى كريم ، فإنهم لا يزالون يمنون النفس بنجاح أساليبهم فيؤلبون طائفة على أخرى ، ويقيمون حاكما ويعزلون آخر ، وبهذا ينفذون إلى قاب الأمة العربية ليقذفوا فيه الرعب والفرقة ، وفي خلال هذه المعارك تنطلق شركاتهم في حراسة القوات المسلحة إلى وضع اليد على المرافق واستنزاف خيرات بلادنا ، ثم يكون تحويلهم بعد ذلك عن هذه المرافق جهاداً شاقاً لا تزال تفكر في وضع خطته ، فضلاً عن الدخول في مرحلة التنفيذ . . . بهذا كله تجاوزت الأنباء فكان لزاماً أن ننسب إلى أن حلقة جديدة من حلقات الحصار الاقتصادي الاستعماري على وشك الإطباق حول أراضينا . . .

تجاوزت الأنباء بهذه الأحداث التي لم يسبق لها نظير ؛ فإن الإنجليز على ما حفل به تاريخهم من القرصنة والعسف كانوا يتحرزون من العنف السافر في كل ما يس أو يشارف أرض الجزيرة ، ولا علم لي بأنهم أجازوا في كل حماقاتهم السابقة ضرب الجزيرة العربية في صميمها أو في أطرافها بالقاذفات . . . ولكنهم اليوم يفعلون .

ومن عجب أنني لم أقرأ تعليقاً ولا برقية ، ولم أسمع أن لجنة للعروبة تحركت أو جامعة لشعوبنا تساءلت . . . حق مجرد تساءل ! ! فهل هذه الأحداث تجري في غير أراضينا ؟ أريد أن أحسن الظن ، وأن أفترض الغليان في النفوس ، فلعل كل واحد منا غاضب ، واعلمه يحدث أخاه ويعلم ولده أن مشكلة الشرق هي في إهمال موارده ، فما كان أجدرنا نحن الشعوب العربية باستنباط الطيبات من الأرض التي جعلها الحق تبارك وتعالى رزقاً لعباده ، فانصرفنا عنها إلى كل سطحى من الدراسة وكل بذائى من النشاط الاقتصادي ، حتى خلا اليدان للغرب ، فجاء يضربنا بحديد أرضنا ، ويبيث الأفواج من قاذفات اللهب والحم تنزف فوق رؤوسنا ، وتصلى شعوبنا الآمنة ناراً حامية ، وما تحركت أساطيل هذا الغرب ولا طائراته ولا دبائنه إلا بالوقود من أراضينا ، وهو نعمة من عند الله علينا نحن شعوب الشرق الأوسط . . . تركناه لهم يستنبطونه ، فكان حقاً أن ندق وبال جهلنا ، وانصرفنا عن حمد الله على أنعمه وعرفان حقه علينا ، بما فضل به بلادنا من كنوز الأرض وطيباتها .

هي تذكرة إذن لنا ، ولأبنائنا ، أن نقرأ وأن نفحص في الأرض ، وأن نتشبهت بموارد بلادنا ، وأن نحسن القيام عليها ، وبهذا وحده نطرد الغاصب ؛ فليس الجهاد مجرد اندفاع وبذل ، ولكنه درس وتمحيص وإنتاج . . . ثم يتوج هذا كله استشهاده في سبيل الله وعزة وكرامة ، إن لم يشهدنا جيلنا على هذه الأرض فيشهدنا أبنائنا .

فبحسب الشرق ما سكت عليه في الأجيال السابقة من تسليم ذليل . وليكن نداؤنا في كل ركن عربي ، دعوة إلى نور العلم الذي فاضت به آيات الله في كتابه العزيز ، وحفلت بآثاره الأرض والسموات والأفلاك وما غاب عن حسنا ، فلا أقل من أن تقبل على الأرض التي نمتى عليها ، فنعلم من أمرها كل ما يصل إليه العقل البشري .

أما أن نعيش على هامش الحياة ، ونترك للغرب شئون التعمير في بلادنا فهذه بعض نتائجه . . . قذف الجزيرة العربية باللهب وبالحم في غير ما جريرة ولا ذنب .

على حكوماتنا العربية وعلى شعوبنا إذن واجب دفع هذا الخطر الداهم بما تستطيع من بذل وتضحية ، حتى لا يستفحل الخطب ، وعلىنا واجبات أخرى لا تقل خطورة . . هي أن نعمل على طرد كل غاصب مستغل لمواردنا . وأول السبيل إلى هذا الهدف أن نذيع المعرفة وأن نستكثر من التجارب والبحث والإنتاج ، حتى نتحكم في مواردنا .

هي حرب اقتصادية قبل أن تكون حرب دماء وأرواح ، وإلى هذا ينبغي أن ينبه بعضنا بعضا ، وعلى هذا ينبغي لنا أن ننشئ أبناءنا ، حتى يستعدوا لما بين أيديهم من جهاد شاق طويل .



وهذه رسالة جميلة من طالب غيور يقول فيها :

إنه مما لا شك فيه أن مجلة « المسلمون » قد ربطت بين أفكار المسلمين في أقطار الأرض برابط وثيق من الفكر والثقافة والروحانية . وإنني أرى زيادة لهذه الرابطة أن تقوم « المسلمون » بمشروع جديد : هو المراسلة بين الطلبة المسلمين في مختلف البلاد الإسلامية وخاصة طلبة الجامعات . ويكون دور المجلة في هذه الناحية هو مركز المراسلة بتلقي وإرسال العناوين لمن يرغب الانضمام في نظام المراسلة هذا . ولن يتقدم إليه إلا من امتلأت جوانحه بعاطفة الإسلام نحو إخوانه المسلمين . كما أن للمراسلة بين شباب الإسلام أثرها النافع في استنهاض الهمم وتوثيقاً لعرى الأخوة الإسلامية . وإن « المسلمون » لجديرة بحمل عبء هذا العمل النبيل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

م . م . ب — كلية الزراعة — جامعة القاهرة

ونحن نشكر للأخ العزيز عاطفته الطيبة ، وسنفتتح باب المراسلة الذي اقترحه في السنة القادمة بإذن الله .

وهذا اقتراح جليل في رسالة جاءتنا من الأستاذ الفاضل محمد بسيوني عمران . رئيس المحكمة الإسلامية في ممبس بجزيرة كليخنتن باندونيسيا :

« لا يخفى على أحد ممن قرأ كتب الفقه ، أن الأحكام في العبادات والمعاملات والنكاحات والجنايات مبسطة فيها ، كافية لما يحتاج إليه المسلمون وغيرهم ، إلا أنها صعبة النوال على من لم يمارسها ، ولا سيما كتب الفقه المشحونة بالأقوال المختلفة والآراء المتناقضة وغير ذلك من العبارات المعقدة . وكيف ندعو الناس أو الحكام إلى العمل بما في تلك الكتب من الأحكام الشرعية الإسلامية وهم لا يفهمونها إلا قليلا منهم .

ولهذا خطر على بالي أن أقترح بواسطة مجلة « المسلمون » الغراء على أهل الفيرة على الإسلام والمسلمين بمصر أن يعقدوا لجنة من علماء الفقه والقانون الأعلام الأكفاء من المذاهب الأربعة لتأليف قانون شرعي إسلامي يصلح للحكم به في جميع المحاكم الشرعية الإسلامية ، ويؤخذ فيه قول في كل مسألة من جميع هذه المذاهب من غير خلاف ذكر فيها ؛ ولكن يؤخذ في كل مسألة من أقوال هذه المذاهب ما هو مجمع عليه أو ما هو أقرب إلى المصالح وأبعد عن المفسد . وأرجو أن يكون هذا القانون شاملا لجميع أحكام المعاملات والنكاحات والجنايات كالكتب الفقهية المعروفة ما عدا أحكام العبادات ، وأن ينسج كمجلة الأحكام السلطانية أو غيرها تسهila لمراجعته والعمل به .

وفي ظني أنه لو يوجد مثل هذا القانون الذي اقترحت تأليفه لأقبل عليه أهل العلم من المسلمين وغير المسلمين في جميع الأقطار يطلبونه .

هذا ، وأرجو أن يكون اقتراحي مقبولا لدى المستعدين لفعله وعمله ، كما أرجو من الله أن يثيبني على هذا الاقتراح لأنني رأيت خيرا للمسلمين . والدال على الخير كفاعله . وللمجلة « المسلمون » الفضل والشكر والسلام .

إن هذا الاقتراح — وجزي الله صاحبه كل خير — جدير بأن يهتم به أهل القدرة على تنفيذه ، وقد قدمنا مثله في الدورة الأولى لمؤتمر العالم الإسلامي وقلنا للمؤتمرين

إذ ذاك إنهم إن ركزوا اهتمامهم في تأليف لجنة للبحث من كبار الأساتذة المتخصصين في العالم الإسلامي ، ولم يفعلوا غير ذلك في تلك الدورة فقد فعلوا شيئاً كثيراً ، وكان من إتمام اقتراحنا أن يجمع لذلك من المال ما يكفي لكفالة حياة كريمة للأساتذة الذين يجب أن ينقطعوا لهذا الأمر حتى يتم ، ولا بأس أن نطالب الحكومات الإسلامية بالمساهمة في ذلك لأنها المسئولة أصلاً عن القيام به . . . والحقيقة أننا إنما أصدرنا « المسلمون » لنسدها شيئاً من هذه الثغرة ، وها نحن أولاء ننشر فيها هذا الاقتراح من أخينا الأندونيسي العزيز .

وهذا سؤال من الأخ السيد حسنين عبد العال :

« يوجد على سيدة مسلمة مبلغ ٧٠٠ جنيه محرر بها كمبيالات بأقساط شهرية قدرها ٢٥ جنيه شهرياً لشخص يدعى (رسمي) وهذا أراد بيع الكمبيالات لشخص مسيحي الديانة فطلب منه خصم مبلغ ١٥٠ جنيه من أصل الدين المذكور سلفاً علاوة على إيجاد ضمانة من شخص آخر مسلم : أي أن المسيحي سيشتري الـ ٧٠٠ بـ ٥٥٠ جنيه ، وإزاء ظروف رسمي وافق على بيع الكمبيالات بخصم الـ ١٥٠ جنيه فهل التنازل عن مبلغ الـ ١٥٠ جنيه للمسيحي من أصل المبلغ يعتبر مخالفاً للشريعة الإسلامية وهل موقف الضامن حلال أم حرام ؟

مراراً حقيقة لا يجوز عدم الرد

نرجو التكرم بالفضل بالرد علينا بما يفيدنا ويطمئننا خشية أن نخطيء في ديننا .

وهذا هو الجواب تفضل به مشكوراً فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة :

المسألة المذكورة فيها أمران هما موضع النظر :

أولهما : هو حوالة الحق إذ بمقتضى الاتفاق المذكور أن الدين بعد أن كان الذي يطالب به هو الدائن (رسمي) صار الذي يطالب به بمقتضى هذه الحوالة هو المسيحي . وقد تكلم الفقهاء في حوالة الحق فأنكروها بعضهم لأنها تملك الدين لغير من عليه الدين وذلك لا يجوز في نظرهم . وأجازها بعضهم باعتبارها إعانة على الاستيفاء أو توكيلاً بقبض الدين . وقد أجاز هذا النوع من الحوالة ابن تيمية ومعه بعض الحنابلة ، وصرح بالجواز الكاساني من الحنفية واعتبره توكيلاً بقبض الدين . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن هذه الحوالة صحيحة ولا نعلم أنها حرام بنص من كتاب أو سنة والخلاف في شأنها منشؤه تضارب في الأقيسية الفقهية .

الأمر الثاني : هو في إسقاط خمسين ومائة جنيه .. لا يعد هذا من الربا في شيء لأن الربا زيادة لا نقص . وإذا كان ثمة إثم فعلى المسيحي الذي قبض سبعمائة ودفع خمسمائة وخمسين . وإذا كنا نرى شيئاً يوجب عدم الاستحسان في هذا المقام فهو أنه إذا كان الدائن الأصلي في سعة أو كان المدين معسراً ، وأن الذي حول إليه الدين سيرهقه من أمره عسراً فإنه لا يصح ديناً وخلقاً ومروءة ذلك ، لا من ناحية الربا ولكن من ناحية إرهاق المسلم وعدم التسهيل عليه .

وجاءتنا هذه الرسالة الكريمة من السيد عبد الله بن طلي بن الشيخ أبي بكر مدير مدرسة النجاح الإسلامية بحيوتى :

وبعد ، فكم كنا سعداء جداً بتحقيق أعز أمنية طالما اختلجت بنفوسنا واختمرت بألبابنا منذ زمن بعيد ؛ ألا وهي أن تكون للمسلمين مجلة باسمهم تبحث عن أدوائهم لتضع بجانبها أدويتها ، تتناول قضاياهم ومشاكلهم بالبحث والدرس لتقدم لهم أوفق الحلول لها وأفضل الوسائل لمعالجتها ، كما وتشرح لهم محاسن دينهم وتعاليمه وأسرار تشريعه التي تخفى على كثير منهم ، وتوازن وتعاون بين حالتهم اليوم من التفكك والتأخر والضعف والدلة وبين ما كان عليه سلفهم الصالح في الماضي من الاتحاد والتقدم والقوة والعزة لتقرر لهم بأن ذلك نتيجة حتمية لتركهم هدى دينهم الحنيف وحيدهم عن السنن الذي رسمه لهم .

أجل إننا لمغبطون كثيراً بمجلة (المسلمون) التي هي أميتتنا الوحيدة بل وأمنية كل مسلم مخلص لدينه غيور عليه حريص على تفهم أسرار وحكمه والاسترشاد بآدابه وفضائله ، وإذا كان هناك ما نؤاخذ عليها فهو كون سنتها عشرة أشهر فقط ، فنحن مع تقديرنا لظروفكم نرى أن من الواجب أن تكون سنتها ١٢ شهراً حرصاً على ألا يمر علينا شهر واحد دون أن تطالعنا (المسلمون) ببحوثها ودراساتها وآرائها ، وإننا — ونعتقد بأن جميع المشتركين كذلك — مستعدون لدفع ما تضيفونه إلى قيمة اشتراكها السنوي بزيادة هذين العديدين ، على أن الأمل قوى جداً في أن تساعد الظروف وتواتي الأسباب بمعونة الله تعالى لجعل (المسلمون) في المستقبل مجلة أسبوعية أكثر انتشاراً مما عليه اليوم ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولقد شاهدنا كثيراً من التحسينات التي أدخلت إليها سواء من ناحية تعميم رسالتها وتوسيع نطاق مباحثها بفتح

أبواب جديدة رُئي فتحها أو غيرها من نواحي التحسينات والتجديدات .
 هذا ونرى المجلات الشهرية الأخرى على اختلاف أهدافها وأغراضها لا تكتفى
 بجعل سنتها ١٢ شهراً بل تراها تتفنن دائماً في طرق ترغيب مشتركها واجتذاب القراء
 إليها ؛ فتارة بتقديم هداياها المتنوعة لهم وأخرى بتخصيص جوائز ومكافآت وحيناً بفتح
 أبواب للمسابقات وغير ذلك من وسائل الدعاية المختلفة لها . ونحن لا نريد من مجلتنا
 (المسلمون) شيئاً من ذلك وإنما نحن حريصون فقط على أن نكون دائماً على اتصال
 بأولئك الأئمة الأعلام بمطالعة ما يكتبونه على صفحاتها بحيث لا يخلو شهر واحد دون
 أن نلتقي بهم فيها .

وختاماً نسأل الله أن يأخذ بأيديكم ويؤيدكم بنصره إنه ولي التوفيق .
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ليتنا نستطيع أن نحقق كل ما طلبه الأخ الكريم ودار بخلده ، ولكننا في ظروف
 كثيرة نحمد الله معها أجل الحمد أن أعاننا على إصدار « المسلمون » والمضى بها ، فإن
 خيوط السوق لا تزال بأيدي أعدائنا ، والوسائل المادية في أيدي دعاة الإسلام لا تزال
 محدودة . ثم إن شهرى العطلة من كل عام جعلناها لتتاح لنا فرصة أفسح نواصل بها
 الاضطلاع بما وقفنا النفس له من الاتصال المباشر بالوعى الإسلامى الناشئ في كل
 أقطار الإسلام .

ومع ذلك فكلنا — والحمد لله — أمل في مستقبل زاهر مشرق ، يتحقق به كل
 ما نرجوه مما يقتضيه العصر الذى نعيش فيه ، وعلى الله قصد السبيل .

ولسنا على الاعتاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

لا إله إلا الله

الآنسة حميدة قطب

ملايين الأفواه تنطق ، وملايين القلوب تنبض ، منذ أربعة عشر قرناً بهذه الجملة الخالدة « لا إله إلا الله » لم تخفت يوماً واحداً ولم تنتكس كما انتكست مرة ومرة قبل ذلك . فماذا تعني هذه الجملة القصيرة في عقيدة المسلم اليوم : في شعوره وتفكيره على السواء ؟

« لا إله إلا الله » هذه الجملة القصيرة هي عقيدة المسلم الأولى التي تنبثق فيها عقائده جميعاً . فهل هي اليوم في فكره وشعوره كما كانت بالأمس البعيد ، هل يستشعر كل ما فيها من معان ، وهل يفهم ماذا أراد الله العليّ القدير للناس أن يفهموا حين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، فقرر هذا المبدأ الكبير ، أو هذه الحقيقة الضخمة التي جاهدت البشرية في سبيل الوصول إليها قروناً وقروناً لا تحصى ؟

أ كاد أعتقد أن المسلم اليوم لا يفهم أو يحس هذه العقيدة الكبرى كما أراد له الله أن يحسها ويفهمها ، وأ كاد أعتقد أنها تعني في نفوس الغالبية الساحقة من المسلمين اليوم هذا المعنى الضيق - على سعته - وهو أن لا يوجد رب معبود غير الله ولا خالق لهذا الكون الواسع إلا الله ؛ أما المعاني الضخمة والعقائد الكبيرة التي تنبثق من هذه الحقيقة العميقة فلا يكاد يستشعرها إلا القليل . ومن ثم لا تكاد تؤثر تأثيراً يذكر في المجتمع ، الإسلامي ، تأثيراً ملموساً يميزه عن المجتمعات الأخرى التي لا تدين بهذه الحقيقة الكبرى ، ولا يخضع تفكيرها وشعورها لها ، ولا للعقائد والمعاني القوية التي تنتج عنها .

« لا إله إلا الله » كما أرادها الإسلام تعني طبعاً وأولاً هذا المعنى الكبير الذي تستشعره قلوب المسلمين ، وتفهمه عقولهم في هذا العصر وفي كل العصور التي ظللها الإسلام ؛ ذلك أن الله واحد لا شريك له في الملك ولا في الخلق ، ولا يتوجه الناس ، بل لا تتوجه الأكوان كلها بالعبادة إلا إليه ، ومن هذه الحقيقة الكبيرة تخرج حقائق كبيرة أخرى تميز الفرد المسلم عن الناس جميعاً تميزاً واضحاً ، وتوجد بينه وبين الله - إلهه الأحد - وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين الطبيعة التي يعيش في أحضانها ، وبينه وبين المجتمع الذي ينتسب إليه ألواناً من التناسق والرضا والهدوء والاستقرار ، فالفرد

الذى يعبد إلهاً واحداً هو الخالق وهو المسيطر على خلقه الموجه لهم ينتفى من كيانه تماماً ذلك الصراع المر الذى ينشب بين المنطق العقلى والوجدان الدينى عند أصحاب الديانات غير التوحيدية ، ويحل محله اطمئنان عميق واستسلام مريح ، يحط عن كاهله عبء هذا الصراع الثقيل ، ويطلق طاقته وقواه كلها يستغلها لحياته وعبادته ودنياه وآخرته .

والفرد الذى تستشعر روحه هذه الحقيقة الكبرى ويعيشها فى مشاعره يجد نفسه - ربما دون أن يفكر - صديقاً للطبيعة التى يعيش فيها ، يحس أنه ذرة منفصلة منها عائدة إليها ، ليس بينه وبينها تعارض أو صراع ، فإله الواحد الذى خلقهما معاً لا يمكن أن يكون خلقهما متعارضين متصارعين يفنى كل منهما الآخر ، فلا يمكن أن يصدر كون واحد عن إرادة واحدة ثم يكون بين أجزائه تخاصم وتنافر . وبهذه الحقيقة التى تستقر فى شعوره ، والتى يغذيها القرآن الكريم بآيات كثيرة يتحرر المسلم من كثير من الخوف المرهق من الطبيعة التى تصورها البشرية وما تزال تتصورها فى غير أرض الإسلام كائناتاً جباراً يصارع الإنسان ليل نهار ، لا يفتأ يكيد له ويتوعده ويتهز الفرصة تلو الفرصة لينقض عليه ويفتك به - هذا الشعور الذى يحيل الإنسان مخلوقاً جاف العاطفة ضحل الإنسانية ، متعباً كأنما هو محارب لا يستطيع أن يستريح أو يضع سلاحه أبداً . . . ويكفى المسلم اطمئناناً من هذه الناحية وراحة وأمناً أن يقرأ فى كتاب الله الكريم مثل هذه الآيات « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » أو أن يقرأ « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعةً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً لنخرج به حبا ونباتاً وجنات ألفافاً » .

أما مظاهر الصراع القاسى بين الطبيعة والإنسان فما ذلك إلا لجهله بها وقصوره عن فهمها ، وما عليه إلا أن يتعرف إليها ويبحث فى أسرارها حتى تتم بينهما الصداقة ويهدأ الصراع .

وحين يتحرر المسلم من الخوف من الطبيعة ، ذلك الخوف المر الذى ينقص عليه حياته ، يتحرر بالتالى من الخوف من الموت ، ذلك الجبار العاتى الذى تهلع من هوله القلوب ، إنه فى قلب المسلم الحق حق بيد الله لا يستطيع أن يتجنبه أحد ولا يستطيع أن يهرب منه ولا يذهب إليه إلا فى اللحظة التى أرادها له الله وبالطريقة التى قدرها . إن المسلم الحق يحس أنه وولده وذويه وديعة من ودائع الخالق على هذه الأرض

يستردها حين يشاء بالطريقة التي يشاء ، وحين يعمق في القلب هذا الشعور ينطلق الإنسان إلى الحياة سليم القلب متمتعاً بالحياة ، مكافئاً فيها ظلم الفرد وظلم الجماعة ، مناحياً عن دينه ووطنه ورزقه ، غير هيب لذلك الجبار الذي قد ينقض عليه في أية لحظة ؛ فيكسب بهذا هدوءه واستمتاعه بالحياة بغير منغص مرهق دائم التنغص ، ثم يكسب كرامته وحقه وماله ، ومجتمعا راقيا يعيش فيه ويستمتع بطيباته .

هنا ما تعنيه جملة « لا إله إلا الله » في الإسلام حين نستعرض في ضوئها العقائد التي تملأ قلب المسلم الحق ، وتنسق العلاقات بينه وبين الله وبينه وبين قوى الطبيعة التي يعيش فيها ويتمزج بها ولا يستطيع البعد عن أحضانها ، سواء منها قوى الحياة أو قوى الموت أما المعاني التي تعنيها هذه الجملة والعقائد التي تنتجها فترسم بها الصلة والعلاقة بين المسلم ونفسه ، وبين المسلم والمجتمع الذي يضمه ، وبين المسلم والمجتمعات الأخرى غير المسلمة فهي كثيرة لا يمكن أن يتضمنها مقال ، وكل ما نستطيع أن نقوله هنا أنها ترسم صورة متفردة بين الصور الكثيرة للأفراد والمجتمعات ، صورة أقرب ما تكون إلى الكمال الذي تنشده البشرية ، وتهدف إليه من وراء صراعها الطويل

فهذا المسلم الحق الذي يؤمن إيماناً كاملاً بأن لا إله إلا الله ، وأنه بكيانه كله من خلق إله واحد قادر لا يخلق تشويهاً ولا عوجاً يحس إحساساً بديها قبل أن يفصل له الإسلام هذا أن الله لا يمكن أن يكون قد خلقه ليكون ممزقاً بين أهوائه وأشواقه ، بين جسده وروحه ، بين ضروراته ورغبته في التسامى والارتفاع ، ثم يخطو خطوة أخرى للتعرف على أحكام دينه ومثله فإذا بالإحساس البديهي يستقر في أعماقه ويعمق ، وإذا بالصراع في هذا الجانب يختفي تماماً وإذا به مخلوق متوازن متكامل هادي منطلق القوى والطاقات سعيد مستقر راغب في الحياة متفائل النظرة إليها ، يخدم الحياة والإنسانية بطاقاته جميعاً غير متعارض بعضها مع بعض ، غير محاصم هو لنفسه ، غير مبدد ولا موزع في ذلك النضال ... فرد واحد من هذا الطراز خير للحياة وللبشرية ولنفسه من عشرات من أولئك الذين يبددم الصراع ويفتت قواهم ويجعلهم فيها مرضى يعيشون الحياة أمواتاً أو نصف أموات .

هذا شأن الإنسان مع نفسه ، أما مع مجتمعه فله شأن آخر وصورة أخرى لا تقل جمالا ولا اتزاناً عن هذه الصورة .

إن عقيدة أن لا إله إلا الله كاملة في نفس المسلم تستطيع أن تنفي عنه كل أنواع المذلة والعبودية وكل أنواع الخوف الاجتماعي ، وتحيله مخلوقاً كريماً على نفسه كريماً على مجتمعه

كريمًا على الله . . . إن عقيدة أن لا إله إلا الله حين تتم في قلب المسلم بكل ظلالها وانبعاثاتها تملأ نفسه يقينًا قاطعًا بأن لا سلطان إلا سلطان الله ، ولا يملك أحد لأحد خيراً أو شراً على هذه الأرض ، لا في الحياة ولا في الرزق ولا في المسكن الاجتماعية : الحاكم يستمد سلطانه من شريعة الله فإن انحرف عنها سقطت طاعته ، والمحكوم يستمد حياته كلها والقانون الذي يحكم به من سلطان خالقه ، ليس لبشر مثله أن يشرع له ، أو أن يحكم بشريعة غير الشريعة التي فرضتها عليه السماء ورضيتها له ، وهو مطمئن كل الاطمئنان إليها ، مطمئن إلى أن الخالق لن يحابي أحداً على حساب أحد ولن يفضل مخلوقاً على مخلوق إلا بالتقوى ، ومن هنا يفتتح أمامه المجال واسعاً ليقدم نفسه ويخدم مجتمعه ويخدم الإنسانية التي يحمل شعارها ، إنه يحاول أن يكون هو هذا المخلوق المفضل عند الله وعند الناس فيسارع في الخير ويتنافس فيه ، ويحاول أن يكمل ذاته وأن يراقب نفسه وأن يصلح عيوبه التي لا يرضاها له دينه فلا يرضاها له دنياه . . . وإنسان هذا شأنه لن يكون في نفسه حقد ، لا على غيره من الناس ولا على مجتمعه في مجموعه ، وفي يده أن يصلح هذا المجتمع إن انحرف عن الرشاد وعن قانون الله ، أن يصلحه بالكلمة الطيبة والنصيحة الهادئة ، أو بالقوة إن أصر على انحرافه وغيه .

هذا شأن المسلم الذي يؤمن بهذه الحقيقة الضخمة إيماناً حقيقياً في صلاته بمجتمعه ، فكيف تكون صلاته بالمجتمعات الأخرى التي تحيط به ولا تدين بدينه ؟ إنها لا شك صلة الصداقة والمودة فهو وقد آمن بأن لا إله إلا الله ، آمن تبعاً لذلك برسالات السماء كلها^(١) وآمن قبل هذا بوحدة هذه البشرية منذ خلق آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن ثم لا يمكن أن تكون علاقته بها علاقة كراهية وحقد ، بل علاقة مودة وإخاء . ولا يغرب عن ذهن إنسان أية سعادة ينتجها مثل هذا الشعور للبشرية جمعاء ، وأي استقرار وأي سلام .

هذا الإنسان المتحرر من كل أنواع الخوف ومن الضغائن والأحقاد ومن العبودية لشيء ما أو لقيمة ما غير الله الواحد هو هدف الإسلام من وراء هذه العقيدة الضخمة التي تعبت البشرية الأجيال الطوال في البحث وراءها ؛ وهو هدف جد عظيم . فهل ياترى يصل المسلمون إلى هذا الهدف اليوم وهل يصلون إليه في القدر القريب ؟

(١) إنما تعني الأخت الكاتبة الفاضلة رسالات السماء كما أنزلت على أنبياء الله ورسوله في حينها ، لا ما صارت إليه اليوم من تحريف وتشويه ، وإنما تقدم علاقتنا الطيبة مع أهل الكتاب بنسب واضح في رسالة الإسلام الخاتمة ، حدد أصول هذه العلاقة وشروطها ، ولعل ذلك لما بقي فيهم من بعض معاني الخير التي لم يصل إليها التحريف .

« التحرير »

باب الكذب : نقد وتعريف

١ — محاضرات في التفسير ، تفسير سورة الأنفال ، للأستاذ

مصطفى زيد المدرس بكلية دار العلوم ، مطبعة العلوم بالقاهرة

سنة ١٩٥٣ ، ١٩١ صفحة ك

٢ — إسرائيل خطر اقتصادي وعسكري وسياسي ، أعده المكتب

الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد

العربية ، دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٥٢ ، ١٩٠ صفحة م

٣ — على مائدة القرآن : دين ودولة ، للأستاذ أحمد محمد جمال ، مطبعة

دار الكتاب العربي سنة ١٩٥٣ ١٧٠ ص ٠ م

١ — محاضرات في التفسير ، تفسير سورة الأنفال

كان اختياراً موقفاً ، أن اختار صديقنا الفاضل الأستاذ مصطفى زيد هذه السورة موضوعاً لدروسه في التفسير هذا العام لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم ، فقد استغرقت قصة غزوة بدر معظم آياتها ، حتى ليقول فيها ابن عباس رضي الله عنهما : تلك سورة بدر .

ومعنى هذا أنها السورة التي ترينا هذه الأيام التي نجاهد فيها الأعداء من كل ناحية من الإنجليز وغير الإنجليز ، كيف يكون القتال والاستعداد له ، وكيف ينزل الله نصره على عباده المؤمنين الذين حققوا الإيمان في قلوبهم وصفاتهم وأعمالهم وأخلصوا جهادهم لله والدين والوطن .

وتفسير القرآن كان شيئاً يرهبه الصحابة رضوان الله عليهم ، حتى إن منهم من امتنع عنه بتاتاً ، خشية القول على الله بغير علم ، وخوف الحكم بأن مراد الله بهذه الآية أو تلك كذا أو كذا في غير تثبت وتوفيق من صاحب القرآن العليم الحكيم . ثم كان أن أقدم المسلمون على تفسير كتاب الله ، وكان لهم في هذا اتجاهات شتى : فمنهم من وقف في تفسيره عند المأثور عن الرسول وصحابته الأكرمين ، ومن حاول تفسيره مستعيناً مع هذا بعقله ورأيه ، ومن هؤلاء من عني شديد العناية بالمذاهب الكلامية ، ومن عني بالتصوف ، ومن عني باللغة والنحو والإعراب ، ومن أراد أن

يجعل القرآن جامعا لشتات كل ما عرفت الحضارة الإنسانية من علوم ومعارف . وليس هنا ذكر المثل التي تتمثل في كل منها الاتجاهات أو النزعات والمذاهب التي ذهب إليها من أقدموا على تفسير هذا الكتاب الكريم الإلهي ، على أن هذه المثل لا تعوز الباحث الذي يتطلبها .

وهذا التفسير الذي يقدمه لنا الأستاذ ، ليس تفسيراً بالمأثور ، ولا تفسيراً بالرأى ، بل هو تفسير وسط بين هذا وذاك ، كما جاء في تصدير الكتاب ، وكما يلحسه القارىء حين يتابعه في البحث جميعه . وتلك ، في رأينا ، هي الخطة المثل التي تأخذ من القديم خير ما فيه ، وتعتمد على العقل في البحث والتقدير والاستنتاج .

وبعد أن ناقش الأستاذ الكاتب ما ذكره الإمام أبو القاسم صاحب كتاب النسخ والنسخ من أن هذه السورة جمعت بين الآيات النسخة والنسخة ، وأن هذه ست آيات (ص ٥ - ١٢) ، أخذ في عرض عام للسورة (ص ١٣ - ٤٩) بين فيه « ما تضمنته من أحكام وحكم ، وما هدفت إليه من تذكير وحفز ، ومن دعوة إلى الإسلام دين السلام . . . » وهذا العرض يعتبر بحثاً قيماً حقاً يشرف به كاتبه ، ويبين عن فهم عميق للسورة الكريمة وما اشتملت عليه . وهو في هذا العرض كله يجعل عماده الآيات نفسها : نصوصها وروحها ، ومعانيها الجزئية والعامية .

ومن هذا البحث ، نعرف ما جاء في هذه السورة عن أسس القتال ومبادئه (ص ١٧ وما بعدها) ، وعن دستور القوة المعنوية التي بها انتصر المسلمون في غزوة بدر ، « هذه القوة التي لا يستغنى عنها جيش يحرص على الفوز » كما نعرف قوانين الحرب والسلم ، وأن الحرب في نظر الإسلام لا تعدو أن تكون ضرورة اجتماعية يقصد بها دحض الباطل ونصر الحق » (ص ٣٨) .

كما حرص الأستاذ الكاتب ، بعد هذا وذاك ، على بيان كثير من القواعد الحربية الهامة التي يجب رعايتها في الحرب والسلم ؛ هذه القواعد التي تؤخذ من الآيات التي تتحدث عن الحرب والاستعداد لها ، والعهد ونقضه من الأعداء ، والسلم والدعوة إليه (ص ٤٠ وما بعدها) .

وهكذا يصل الأستاذ موقفاً من الله تعالى إلى آخر المسائل واللبادى والأحكام التي اشتملت عليها سورة بدر كما يسميها ابن عباس . وهي مسائل ومبادئ وأحكام عديدة هامة يجب الرجوع إليها مفصلة في البحث نفسه . فإذا خلس من هذا العرض المستوعب القيم إلى التفسير ، تراه يفصل ما أجل

ويتناول آيات السورة في مجموعات كل منها نزل لغرض خاص، معنياً بالمسائل التي يتناولها عادة الجليّة من علماء التفسير، ومفيداً من آراء هؤلاء العلماء، ومضيفاً إلى هذه الآراء كثيراً من الدقائق والمعاني التي تدل حقا على أنه عاش طويلاً في جو السورة الكريمة وعالمها، وكل ذلك في أسلوب سهل بليغ.

وأخيراً، ينتهي من الكتاب بذكر خلاصة مركزة مفهومة لخلاصة السورة (ص ١٨٥ وما بعدها)، وهذه الخلاصة هي: الصفات التي يجب أن تكون في المؤمنين والأعمال التي يطالبون بها، ومبادئ الحرب والسلام، ثم السنن الاجتماعية التي أخذ الله سبحانه وتعالى بها خلقه في كل جيل وعصر.

هذا، ومع سهولة أسلوب الأستاذ ووضوحه فهناك بعض تعابير قد لا تفهم على وجهها إلا بشيء من العسر أو التعمل، ونذكر منها هذا التعبير (ص ٣٧): «فهو (يريد الله تعالى) يؤكد أنه ليس من سنته في خلقه أن يغير حال قوم أنعم عليهم إلا إذا غيروا هم أحوالهم، فلم يستجيبوا لرسله ولم يصدقوا بكتبه ولم يشكروا له نعمه...» ونعتقد أن المعنى يتضح والتعبير يستقيم لو قال: فاستجابوا لرسله وصدقوا بكتبه وشكروا له نعمه الخ.

وبعد! هذا بحث يقوم على منهج علمي سليم، وغنى بالمراجع الأصلية المعتبرة، فهو حري بالقراءة والإفادة منه. ونرجو أن تتبعه بحوث أخرى مثله تتناول بالتفسير سوراً أخرى من الكتاب الكريم.

٢ - إسرائيل...

وليس عجباً أن نتحدث في مجلة «المسلمون» عن إسرائيل، بل العجب كل العجب أن نهمل الحديث عنها، وعن أهدافها القريبة والبعيدة، وعن وسائلها التي تُعدها في جد وحزم لبلوغ هذه الأهداف.

نحن نعرف أن لكل بلد عربي شئونه ومشاكله الخاصة، وأن الاهتمام بهذه الشئون والمشاكل واجب ضروري في الدرجة الأولى من الأهمية والاعتبار، ولكن نعتقد - مع هذا كله - أن الاهتمام بالعدو المشترك، والعمل على دفع خطره، يجب العناية به قبل أي أمر آخر، حتى نعمل كل ما في طوقنا للوقوف في وجهه قبل أن يستفعل ولا نستطيع له رداً.

وقد كان لقيام خطر هذا العدو الشديد اللراس والشكيمة، أثره فيما رأينا حتى

الآن من تضامن البلاد العربية وتعاونها فيما بينها ، ولكن كل ما بذلناه وبذله حتى الآن من جهود في هذا السبيل لا يكفي للوقوف في وجه هذا الخطر ، وهذا ما يؤكد الواقفون حقاً على مواطن الأمور .

والعل من أسباب ذلك عدم تقديرنا لهذا الخطر المشترك وجهلنا بقوته التي تزيد من يوم لآخر ، وعدم اكتراثنا الواضح بخططه وآماله ومشروعاته وغاياته التي يعمل لبلوغها . إنه يعمل بجد وتبعاً لخطط مدروسة في عمق وإحاطة ، ونحن نحاول العمل في هزل أو عدم اكتراث على الأقل ، وإلا لما كان ممكناً أن نهزم أمامه على كثرتنا وقلته عدداً وموارد ومعدات .

إن الخطوة الأولى الطبيعية والمنطقية ، هي أن نعرف عدونا أولاً تمام المعرفة ، ثم يكون بعد ذلك العمل على مواجهته وإبادة دولته . أما أن نظل على جهل بأمره وبما يبيته ، وفي عمنى عن خطته ومشاريعه ، فهذا ما لا يليق بدولة واحدة من الدول ، فكيف بسبع دول عربية !

وهنا نحمد الله تعالى على أن أصدرت دار العلم للملايين بيروت هذا الكتاب الذي طبع مرتين في عام ١٩٥٢ ، وهذه ظاهرة تدلنا بلا ريب على شدة حاجة الذين يعنون بقضية فلسطين وإسرائيل والبلاد العربية عامة لهذا الكتاب الذي ليس له « سوى رائدين : الحقيقة والواجب الوطني . وكل مافيه من تأكيد لمدى الخطر الصهيوني وأهميته ، ليس له سوى هدف واحد : الحفز على مضاعفة الجهد لمقاومة هذا الخطر » (ص ٦)

وفي الحق ، إنه (كما جاء في صفحة ٣ — ٤) بالرغم من كارثة فلسطين ، ومن الكثير الذي نبهت الأعين إليه ، فلا يزال العرب كما كانوا قبلاً في جهل مطبق بعدوهم هذا ؛ فلا هم يعرفون حقيقة أطماعه ومداهما ، ولا هم يعرفون حقيقة وسائله في تحقيق تلك الأطماع ، ولم يوجد بعدُ عربي واحد يدرس بعنق أحوال المجتمع الصهيوني ، ليري ما فيها من قوة أو ضعف ، مع أن معرفة الخصم أول بديهيات النضال ؟ إذ أنك ستعجز عن اتقاء خصمك إذا لم تعرف قوته ، وستعجز عن الإيقاع به إن لم تعرف ضعفه .

وقد رأى واضعو هذا الكتاب تقسيمه أقساماً ثلاثة ، يبحث الأول منها في بيان أن خطر إسرائيل هو سياسي وعسكري واقتصادي معاً ، ويعنى الثاني بتفصيل القول عن وضعها الاقتصادي ، ويبحث الثالث والأخير موقف العرب من هذه الدولة الناشئة

الخطرة . وهو في كل من أقسامه وبحوثه يقوم على وثائق من أقوال رجال إسرائيل أنفسهم ، ويرتكز على إحصاءات وأدلة علمية تعاون على الحكم الصحيح على غايات إسرائيل ووسائلها .

ومن الجهل أن نظن أن إسرائيل تسكتني بالاستقرار في فلسطين ما دام مناحيم بيغن زعيم حزب « حيروت » ينادى عام ١٩٥٠ بأن لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه .

ثم يتلوه عام ١٩٥٢ آريه التمان أحد زعماء ذلك الحزب فيذكر في خطاب رسمي له : أن إسرائيل العظمى ، الممتدة من العراق إلى السويس هي الدولة القوية التي تستطيع تأمين السلام والاستقرار في الشرق الأوسط (ص ٣١) .

وهم هناك يعبثون لذلك الغرض أو الهدف الواسع الكبير كل القوى : قوة العقيدة والعلم والأدب والصناعة والتجارة . . . إلى آخر ما تراه مفصلاً في الكتاب (ص ٣٩ وما بعدها) وفي هذا يقول بن غوريون نفسه في كتابه « إسرائيل في احترابها » : « إن الجيش وحده لا يضمن النصر ، والحرب في أيامنا ليست حرب جيوش فحسب ، وإنما الحرب العصرية هي حرب الشعوب ، هي حرب الشعب بكامل طاقته وحياته العامة » (ص ٤٠) .

كما يقول أحد رجال الصناعة في مقال نشر عام ١٩٥١ : إن أمن الدولة في أيامنا لا يستند فقط على قوات الجيش ؛ بل إن ميدان الأمن في هذه الأيام يشمل - بالإضافة إلى الجيش والقوات المسلحة في الشعب - جميع ميادين الاقتصاد والعلم والاختبارات والتجارة والصناعة والمواصلات والتموين والقوى البشرية . ففي كل عمل اقتصادي وبكل مشروع إنشائي ، توجد نواة هدف عسكري » (ص ٤١) .

وإذا وصلنا إلى القسم الثاني من الكتاب ، وهو القسم الخاص بالوضع الاقتصادي على التفصيل (ص ٦٧ وما بعدها) ، نجد ما يسند أقوال زعمائهم ورجالاتهم من الأرقام والإحصاءات التي تدل على أنهم يعملون أكثر مما يتكلمون ، وذلك على العكس مما نحن عليه رجال الدول السبعة العربية ؛ وفي بعض هذا ما يكذب زعم الذين يتوهمون أن الزمن وحده كفيل بانهيار دولة إسرائيل من نفسها ، وبخاصة إذا نظرنا نظرة صادقة عميقة إلى الجداول الملحق بالكتاب (ص ١٨٥ وما بعدها) والتي فيها مقارنات ناطقة بين اقتصاديات إسرائيل وكل من الدول العربية .

وإذاً ، فإسرائيل خطر حقيقى على الوطن العربى كله من القرات إلى واد النيل ، ومن الحق أن تتعالى عن إدراك ما تنطوى عليه هذه الدولة من نوايا ، وألا تقدر ما لها من طاقات عدوانية . وإن من أول مبادئ النضال ، كما يذكر العلماء واضعو هذا البحث (ص ١٦٨) ، أن من الأفضل تقدير الخصم بأكثر من قوته الحقيقية لأن جهد المقاومة يكون مبنيًا على تقدير الخصم . وخير لنا أن نضع من الجهد فى مقاومة إسرائيل أكثر مما نحتاج فنسد عليها الطرق ، من أن نضع أقل مما نحتاج فنفتح ثغرة تنفذ منها .

وأخيراً ، لقد أحسنا نحن العرب بهذا الخطر إلى حد ما ، وكان من هذا ما رأيناه من تقرير مقاطعة إسرائيل وعقد الضمان الجماعى بين الدول العربية ، ومن زيادة الاهتمام بشئون الجيش والدفاع فى كل دولة من الدول العربية ، ولكن هل ذلك كله كافٍ لدرء هذا الخطر ؟

ذلك ما لا نعتقده ، فإنه « ليس هناك إلى الآن دولة عربية واحدة جعلت المجهود الدفاعى مرتكزاً إلى مجهود عام فى سائر نواحي الحياة وإلى تعبئة كلية لسائر الموارد الشعبية والمادية والمعنوية » (ص ١٧٤ - ١٧٥) .

وإن من الحق أن تقرر بجانب هذا أن العرب متفوقون تفوقاً ساحقاً على إسرائيل من ناحية العدد ، وأن مواردهم من الثروات الطبيعية أكثر بكثير ، وبخاصة بفضل الزيادات الهائلة فى إنتاج البترول فى العراق والجزيرة العربية وإمارات الخليج الفارسى . ولكن هذا جميعه لا يكفى للوصول بنا إلى ما نريد إلا إذا جعلنا فكرة إبادة الدولة اليهودية عقيدة تجرى من كل عربى مجرى الدم من جسمه ، وعملنا على تسخير سائر القوى التى فى طاقتنا لخدمة هذه الفكرة وتحقيقها ؛ مادام الأمر أمر حياة أو موت . وبعد ! هذا كتاب صريح كل الصراحة ، وغنى بالأدلة العلمية والإحصاءات الرسمية ونحوها ، فهو جدير بأن يقرأ بعناية وتدبر من الشعب العربى كله ومن القائمين على شئونه فى دوله المعروفة .

٣ - على مائدة القرآن : دين ودولة

هذا كتاب لطيف أراد به مؤلفه أن يظهرنا على ما فى القرآن الكريم من فلسفة التعبّد وحقائق العبادة ، وما يشتمل عليه من منهاج قويم للتربية والتعليم ، وما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامى أفراداً وحكومة .

وقد صدر البحث بكلمة اقتبسها عن الأستاذ حسن البنا رضوان الله عليه وتهدف إلى بيان أن الإسلام دين ودولة . ثم أتبعها بأخرى تبين أن الإسلام دين عالمي خالد ، وقد اقتبسها من رسالة « الدين القيم » للأستاذ أبي الأعلى المودودي .

وبعد هذه وتلك ، تراه يرسم في مقدمة ثالثة (ص ١١ — ١٤) منهجه في البحث وهو يقوم على وجوب اعتبار القرآن جملة واحدة واعتباره موضوعاً واحداً على تباعد فصوله بين السور والآيات ، وذلك حين يريد الباحث تناوله بالدرس من أى ناحية من نواحيه .

وحين نصل بعد هذه المقدمات إلى صلب البحث ، تراه يعرض في الفصل الأول (ص ١٥ وما بعدها) لمسائل لها أهميتها البالغة من ناحية العقيدة والدعوة إلى التوحيد وعبادة الله حق عبادته . كما يتناول بالحديث في الفصل الثاني (ص ٥٣ وما بعدها) منهاج القرآن في التربية والتعليم ، ويدخل في هذا البحث دعوة القرآن للعلم وتقديره للعلماء ، وبيان العلم الحق الذى ينبغى لنا أن نطلبه ونعمل به مق أدركناه .

وأخيراً ، تراه في الفصل الثالث والأخير (ص ١٠٣ وما بعدها) يتكلم في شيء من التفصيل عن المجتمع الإسلامى : أفراداً وشعباً وحكومة ، وعن الأسس التى يجب أن يقوم عليها المجتمع السليم ؛ « حق لا ينبغي أحد على أحد ، ولا يحقر مسلم أخاه ، ولا يظلمه ولا يغبنه . ولا يستكبر حاكم على محكوم ، ولا يفخر حظى على محروم » (ص ١٢٣) . وفي هذا الفصل الممتع ، نعرف حقيقة الحاكم في نظر القرآن ، وما يدعو إليه الإسلام من ديمقراطية في ظل السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وما عفى بوضعه من قواعد لتحقيق الأمن العام ، ومقدار حرص القرآن على رعاية المرأة وتوفير الكرامة والعز والهناء لها .

هذا ، وإن من حقنا أن نغضب بالإقبال على دراسة القرآن الكريم من نواحيه المختلفة ، ومحاولة استلهامه في كل ما يعرض لنا من شئون ، وإن من واجبنا بصفة خاصة ، أن نعلن توفيق الأستاذ الكاتب في كل ما عرض له من دراسات وبحوث ؛ فقد جتلى كثيراً من الأفكار والآراء والمبادئ . والأصول الإسلامية في أسلوب ممتع قوى أخاذ ، وهو في كل ما عرض له يجد دائماً سنده من القرآن الكريم وسنة الرسول وتاريخ وآثار الخلفاء الراشدين . جزاء الله خيراً ، ونفع به وبأمثاله ورزقنا جميعاً العون والتوفيق والسداد .

مع العارفين

في الدعاء

للأستاذ البهي الخولي

يقول عمر رضى الله عنه : « أنا لا أحمل هم الإجابة ، وإنما أحمل هم الدعاء فإذا

ألهمت الدعاء كانت الإجابة معه » .

وهو كلام أصيل نفيس : فليس كل دعاء مجابا فمن الناس من يدعو أن يأخذ الله ذلك الذى يزحمه فى سوق المنافسة والتجارة أو ذلك الذى يسبقه إلى قلوب الرؤساء ومرضاة السادة . وكل دعاء من هذا القليل لا يجاوز إلى الله شفى قائله ؛ فالدعاء مخ العبادة ، وليس من العبادة أن تستدبر وجه الله وتزهد فيما عنده ثم تدعوه بمثل هذا الدعاء السخيف ...

الدعوة سهم من سهام الله ؛ فإذا نزعت عن جوانح ناظرة إلى الله راغبة فيما عنده لم يكن لها دون عرش الله محل ... أوى عمر يوما إلى كومة من الرمل بعد أن أجهدته الطواف والسعى فى مصالح المسلمين فلما وجد مس الراحة طى الرمل قال : « اللهم قد كبرت سنى ووهنت قوتى وفشت رعيتى فاقبضى إليك غير مضيع ولا مفتون ، واكتب لى الشهادة فى سبيلك والموت فى مدينة رسولك » فخرنى بربك أى شىء فى هذا الدعاء تنظر إليه معدة عمر أو جيبه أو شهوته الدنيا ؟ ...

إنها المهم الرفيعة والنفوس الكبيرة أبت أن تقوم آمالها بشىء من عرض هذا الأدنى كثيرا كان أم قليلا .

هذا الرجل الكبير لم يقل هذا الدعاء الناصع الرائع وهو فى أعماق عزلة من الناس أو صومعة فى رؤوس الجبال فارا إليها من معتك الحياة ، وإنما قاله وهو يسوس الشرق والغرب وهو مجهد من السعى فى مصالح المسلمين .

ماذا يرجو عمر من الله ؟ إنه يشكو إليه ضعف قوته وثقل أعبائه ويدعو أن يعصمه من الفتنة وتضييع الرعية ...

وهل يفتن أحد فى مثل هذا الموقف إلا أن تراوده الدنيا عن نفسه وهمته ومثله العليا والمال بين يديه يكال بالكيل ولا يحصى بالعدد ، والسلطان والنفوذ متعلقان

في إشارة من إشاراته؟ هل يفتن إلا أن يكون ذلك . . . أو أن يطيش حلمه ويسفه رأيه فيدل على الناس بجأه وعزة منصبه ، وتنفق لديه سوق النفاق والرياء والمق الحقيق الوضيع؟ وهل تضيع الرعية إلا بهذين أو واحد منهما؟

وأخيراً فهو يسأل الله الشهادة في سبيله والموت في مدينة رسوله . وإن فطنتك ورهافة حسك لمدركة جمال الغاية في الشهادة في سبيل الله ، ولمدركة صفاء تلك العاطفة التي تسيل حباً وحنيناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذا لم يسمع الله إلى خلجات تلك الأفئدة والجوانح ، وهمسات هذى السرائر فلمن يسمع؟ أيسمع الملحنين المظموسين الذين لا يدرون من سر وجودهم شيئاً؟ أو يسمع لأولئك الغافلين التمرغين في أحوال المادة والمنافسة عليها؟

تلك جوانح شف عنها الغطاء ، فعدت مقادير الله تلقي عليها ما يشبه الظلال فلا تلبث أن تستحيل في فطرتها الصافية إلى مشاعر ملهمة تنطق اللسان أو تلهمه أن يدعو الله فإذا الدعاء ترجمة لتلك الظلال وتعبير يرص بما شاء الله من مقادير . . . وحين يتردد الصدى بين مقادير الله وجوانح المؤمنين ، ويعبر الأفق بما بين هذين الطرفين الكريمين من تجاوب فهي ساعة الإجابة ، وهي ساعة إلهام الدعاء ، وهي ما يقول عنه عمر : فإذا ألهمت الدعاء كانت الإجابة معه .

وكل إنسان يستطيع أن يدعو؛ ولكن العبرة ليست بالدعاء بل بالشعور الباعث على الدعاء ، وهو شعور تهتف به الجوانح عند ما يسطع عليها ظل من ظلال المقادير الموشكة ، وليس في طوق بشر أن يصنع ذلك الشعور لأنه ليس في طوق بشر أن يتصرف في ظلال تلك المقادير . . . وهو ما عناء عمر بقوله : أنا لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء . فالإجابة قرينة الدعاء لا محالة ولكن أنسى لنا بالقدر الذي يلهم الدعاء ويحفز إليه ؟ ذلك ما يحسب له عمر الحساب كله .

وما دامت المهمة منوطة بمخاوف الدعاء ومثيراته فالسبيل إلى هذا الدعاء الصالح أن تستقبل وجه الله في كل شيء وفي كل حال ، ولا تنظر إلا إلى ما عنده من مشوبة وكرامة ومنزلة . ذلك في نظر الناس سيرة طيبة وهمة عالية وخلق فاضل عاظم . ولكنه لك ترق في منازل الكمال وتصفية وتنقية وتهذيب فيغدو لك مع أسرار هذا الوجود تجاوب . . . لا أقول تعلم الغيب ولكني أقول تجاوب رقيق عميق به إلهام ومشاعر طيبة مباركة تنهض إلى خير العمل . وتوحى بأظهر النيات وتلهم الكلم الطيب والدعاء الصالح

لا يكون صاحب السريرة بشراً مغلقاً مطموساً ، تمر به نفحات هذا الكون وأسراره كما تمر على الصخرة الصماء ؛ بل قلباً هيناً ليناً وبصيرة مستقبلة متأثرة متجاوبة ؛ فهو ممزوج بالوجود والوجود ممزوج به .

وماذا في هذا الامتزاج والتجاوب ؟

فيه أشياء كثيرة لا نعرض لها الآن في هذا المقام . ومن هذه الأشياء أن الأحداث بغيرها وشرها حين تقع له لا تقع منه موضع المفاجئة ، لأنه كان يعلمها من قبل بل لأن امتزاجه بروحها وسرها الغامض جعل نفسه في مقام الهيؤ لكل طارئ فلا يطير به الفرح إذا طالعه ما يسر .. ولا يحطمه الحزن إذا نابه ما يسوء ، وذلك من جلال الخلق وعظمة النفس : « لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » وأحب أن أرقى بك إلى غير هذه فأقول إن اتصال سريرتك بروح هذا الوجود وامتزاجها بسره قد يدق ويلطف ويزداد حتى يزداد أنسها بالقدر الذي يسوء ؛ فإذا هو في نفسك نعمة مرجوة وطلبة منشودة تسألها الله في دعاء حار . . .

من منا يا أخى يحب أن يطعم في بطنه بخنجر طعنات قاسيات تمزق أحشاءه حتى يندلق منها الطعام والشراب ؟

هذا الحادث القاسى الذى تقشعر منه الأبدان كان جنبنا في ضمير قدر من أقدار الله التى خبأها لعمر ، ولكن امتزاج عمر بحقيقة الوجود ونفوذ أسرار الخفية إلى نفسه الللهمة كان منه أن سطع هذا القدر في إشراق حلو على قلبه . . . لم تكن صورة هذا القدر واضحة بمفهوم معين ، ولكنه كان إشراقاً جميلاً حلوا هتفت به الجوانح وترجمه اللسان : « اكتب لى الشهادة فى سبيلك والموت فى مدينة رسولك » دون أن يدور بخله على أى صورة يكون هذا الاستشهاد . . .

واستمع إلى نموذج آخر ممن طهروا جوانحهم أن تلصق بها أوساخ المادية : ذلك النعمان بن مقرن يستعمله عمر على ناحية اسمها كسكر يجمع الزكاة من أهلها وهى شئ كثير ؛ وليس على النعمان فى ذلك رقيب ولا أمير إلا عمر الذى تنأى به المراحل والمفاوز عن كسكر . . . فهو وحده الذى ينظر فى مال الناس ليفرض على كل ما يشاء من الزكاة ، إن شاء استوفى وبالع ، وإن شاء طفف وترك . . . وليس معه دواوين ولا دفاتر تحفظ ما يأخذ وما يدع ، ولا هو يعطيهم على نفسه وثائق بما أدوا من حقوق الله .

رأى النعمان ذلك ورأى المال الكثير والدنيا العريضة تنزىن له وتراوده ، فاستعصم وتماسك ونأى عنها بجانبه . . . ولكن المال الذى لا حارس له استمر يطرق على قلبه

في إغراء وغواية . . . ويستعيد النعمان بالله من هذه الفتنة الملحة التي ألقاه عمر في تياراتها المتجاذبة المهلكة فيكتب إليه :

« يا أمير المؤمنين إن مثلي ومثل كسكر مثل رجل شاب عنده مومسة تتلون له وتتعطر ، وإني أنشدك الله لما عزلتني عن كسكر ، وبعثتني في جيش من جيوش المسلمين » .
وكم كان بؤس لو أقننا طويلا على هذا المثل نتأمل عمق العبرة فيه ، ونستعيد ذكر أولئك الذين كانوا بالأمس القريب يتاجرون بحث الضباط وأرواح الجند في حرب فلسطين ، ونرى النكسة البشعة التي أصابت الإنسانية في خلقها ومثلها العليا . . . فهذا الرجل القديم لو أخذ واختلس وخان لما أحس أحد بأخذه واختلاسه وخيائته ، ولن تكلفه الحيانة مع ذلك أن يتاجر بأرواح الجنود ولا دماء أحد من الناس ، بل كانت الجريمة تتم بأيسر مشونة دون أن يأبه أحد أو يرتاب في أمرها إنسان . . . ولكنه يرفض الرذيلة لذاتها لا لحفاؤها عن أعين الرقباء ولا لقلة ما تصرع من الضحايا التعسة . . . ثم انظر إلى مرامي همته ، فهو لم يطلب الإقالة من عمله ليخلد بعدها إلى الراحة والعافية في قعر داره ، بل طلب أن يبعث إلى جيش من جيوش المسلمين ؟؟ .

كان بؤسنا لو نطيل المقارنة هنا لنظهر الفرق بين تلك الكواكب اللدنية وهذى الحنازير الجرباء التي تدأب الدهر في أقدر القدر تدهدهه بأنوفها . . . ولكن شاهد العبرة ينتظرنا عن قرب ويعجلنا عما نريد من كل ذلك .

وأعجب عمر بهذا الضمير الذي لا يريد لصاحبه أن يعيش لصاً ، وبذلك المهمة العالية التي نبذت مساومة المال إلى ميدان المصاولة والنزال . . . ورأى عمر يبصيرته أن تلك النفوس المطهرة الموصولة حقاً بنور الله حقيقة من الله بأن ينزل عليها نصره ، ويختارها مظهراً لكرامته في خلقه ، فكتب إليه أن يسير إلى نهاوند ، وأن يكون أميراً لجيشها .
انظروا أيها الناس إلى هذا القائد القدوة كم كانت تساوى الحياة في هذه الأرض لديه ؟ لقد قال لجنده إنني سأهز الراية ثلاثاً : أما الأولى فليقبض الرجل حاجته وليجدد وضوءه ، وأما الثانية فلينظر الرجل شسع نعله ويرم من سلاحه ، فإذا هزرت الثالثة فاحملوا . . . ثم قال ولا يلوين أحد على أحد . . .

وإن قتل المتصدر منكم (يعني نفسه) فلا يلوين أحد عليه . . . وإني داع الله بدعوة فأقسمت على كل امرئ منكم لما أمّنت عليها : اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة في نصر وفتح على المسلمين . فتكهرب المعسكر بهذه الدعوة الرائعة وأزعجت الأصوات بالتأمين عليها .

وكان النعمان أول قتيل في المعركة وفتح الله على المسلمين ونصرهم في ذلك اليوم نصراً مؤزراً .
 رأيت كيف ألهم النعمان الدعاء وكيف كانت الإجابة معه . .
 إنه القدر حضر والأجل معه ، فألقى ظلاله وأسراره على صفحة النعمان فإذا به يأنس
 الخطب وإذا القدر يعظم في نفسه ويعذب حتى يستحيل إلى نعمة منشودة وطلبة
 مرجوة فيهتف بالشهادة وهو لا يعلم أنها على بعد خطوات منه في يمين القدر ، ولكنه
 الدعاء يحضر والإجابة معه .

وإليك مثالا ثالثاً تتعزز به كلمة عمر : أتى إليه رضى الله عنه بمال كثير فقال
 أيها الناس إنه قد جاء مال كثير ؛ فإن شئتم أن نكيل لكم كلنا ، وإن شئتم أن نعد لكم
 عددا ، وإن شئتم أن نزن لكم وزنا . فقال رجل من القوم « يا أمير المؤمنين دوّن
 للناس دواوين (أى دفاتر) يعطون عليها ؛ فاشتبهى عمر ذلك بفرض لكل من
 المهاجرين خمسة آلاف درهم ، وفرض لكل أنصارى ثلاثة آلاف ، وفرض لكل زوجة
 من أزواجه عليه السلام اثني عشر ألفا . وكانت زينب بنت جحش رضى الله عنها إحداهن
 وكانت أسخى زوجاته عليه السلام واعطاهن وأدناهن إلى قلوب الفقراء بالعطاء
 والصدقة ، فلما رأت ما أرسل إليها عمر وجدت شيئا عظيما لم تر مثله ولم تحسبه لها بل
 ظنت أن عمر أرسل به إليها لتقسمه في صواحباتها من زوجات النبي ، فقالت غفر الله
 لأمر المؤمنين لقد كان في صواحباتي من هي أقوى على قسمته مني ، فقيل لها إن هذا المال
 كله لك . فأمرت به فصب وغطته بثوب وكانت صائمة فقالت لبعض من عندها أدخل
 يدك لآل فلان ، وأدخل يدك ، لآل فلان وآل فلان ، فلم تزل تعطى لآل فلان وآل فلان
 حتى قالت لها التي تدخل يدها لا أراك تذكريني ولى عليك حق فقالت : لك ماتحت الثوب
 فكشفت الثوب فإذا خمسة وثمانون درهما فأخذتها وانصرفت ، فقالت لها خادمتها هلا
 كنت أبقيت لنا شيئا تنقوت به وأنت صائمة ؟ فقالت لو ذكرتني لفعلت وعند الله فضل
 كثير ، ثم رفعت الطاهر المطهرة يدها إلى الله وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر
 ابن الخطاب بعدامى هذا ؟ فكانت أول زوجاته صلى الله عليه وسلم لحوقا به .

وبعد . . . فهل عرفنا حقيقة الدعاء المجاب ؟ . . وهل تعلمنا كيف ندعوا الله ؟ . .
 وهل أدركنا كنه المطالب التي تدعوه بها سبحانه ؟

وعلى هامش هذا : هل تعلمنا أن العزوف عن المال ليس معناه الخلو عن الناس
 واعتزال الحياة ؟ .

وأنه لا يمنع من مزاوله جسام الأمور وعظيم المهمات ؟ وأتأنا لا نغنى به إلا
 التسامى بالهمم والنفوس إلى أهداف وراء هذا العرض الرخيص .

البُلبُلُكَ

لسماحة القاضي محمد محمود الزبيري

شاعر اليمن

بعثت الصبابة يا بلبلُ كأنك خالقها الأولُ
غناؤك يملأ مجرى دمي ويفعل في القلب ما يفعل
سكنت الحياة إلى مهجتي كأنك فوق الربي منهل
وما الحب إلا جنون الحياة وجانبها الغامض المُشكِـل
غزتك إلى الوكر مأساته ومسك من خطبه المعضل
فضاق بك الروض في رحبه وإن كنت في جوه مرسل
نكبت كما نكب العاشقون وحمّدت في الحب ما تحمّلوا
هدوءك في طيه مرسل وریشك من تحته مشعل
خفيف على النصف لكما فؤادك في لوعة مشعل
أنيك ينساب بين الفصوص كما انساب من نبعه الجدول
ويسرى إلى القلب مسرى الحياة وفيه من الوجد ما يقتل
حبيبك جارك بين الزهور وبينكما دوجة تفصل
ولست بعيداً على ناظريه فإلك من أجله تعول؟
جناحك فيك فلم لا تطير إلى ما تحب وما تسأل؟
أفي عالم الطير لؤم الوشاة ومن يتجسس أو ينقل؟
وهل للبلابل دين يصدُّ عن الحب أو آية تنزل؟

تنفّس فأنفاسك الخالدات وروح الرياض التي ترفل
 جناحك آمن من ظلمها وريشك من ريشها أجل !
 وأنت السعيد الوحيد الذي حبأك الزمان بما يبخل
 غناؤك للطبع لم تكثر أضاعوا فنونك أم سجلوا
 وتنشد وحدك ما إن تحس بمن يحتفي بك أو تحفل
 وتأبى التصنع بين الجموع وإن صفقوا لك أو هلّلوا
 وتبكي افتك لا للخطوب وإن كان فيهن ما يذهل
 تغنى وترقص في دوحة كأن أزاهيرها محفل
 كأنك تحسبها طائراً وتزجرها علها ترحل
 ترحب بالشمس قبل الشروق كأن حماك لها موئل
 كأن الضحى وقفت نفسها لو كرك ضيفاً به تنزل
 كأنك حاتم في خلدته بحبي الضيوف ويستقبل
 أنتك فقيراً وفي صدرك الفؤاد وفي فك القول

كثرة الكلام تذهب بجوهر الأفكار ، وما تبرح تحوّل ذهبها إلى دراهم زائفة
 حتى يظهر صاحبها فقيراً .
 « كارمن سيلفا »

مُهَاجِرُونَ الْعَرَبِ فِي أَمْرِيكَا

• ننشر هنا نص المذكرة التي قدمها الأستاذ السيد محمد علي الحوماني إلى جامعة الدول العربية ، والجامع الأزهر والهيئات الإسلامية في مصر والبلاد العربية (١) .

• في أمريكا ، شمالها وجنوبها مالا يقل عن مليون عربي : آباء وأبناء . الآباء هاجروا من وطنهم منذ عشرات السنين أميين أو شبه أميين ، والأبناء فتحوا أعينهم على الحياة الغربية وهم بين أحضان آبائهم .

• تنبه الآباء لتراثهم الديني والقومي بعد أن أدركتهم الشيخوخة فلم يجدوا في صدور أبنائهم وبناتهم مقرأ لهذا التراث إذ لم يحرزوا الثقافة التي تعينهم على ذلك ولم يستطيعوا إقناع أبنائهم بالعود إلى الوطن الأول .

• لم تنبه الحكومات العربية إلى الخطر المحدق بهذه الفئة الصالحة التي كان لها طوال نصف قرن فضل كبير على الأمة العربية بما ضحت من أموالها في تغذية الحركات الوطنية ، وفي دفع البؤس عن أمتهم بإنشاء للعاهد والمساجد تحت سماء الوطن ، وفي الحيلولة بين أهلهم وبين الفقر المميت .

• كانت الوفود العربية أدبية وسياسية تكرر المهاجر تباعا لاستغلال عواطف إخوانهم هؤلاء باسم العلوم والأدب طورا ، وباسم الوطنية والظلمات طورا آخر ، ولم يفكر أحد منهم بأن هذا المورد الصالح للأمة سوف ينضب حين تنضب الحياة من الآباء ويصبح الأبناء غرباء .

• في أبناء المهاجرين مالا يقل عن مائة ألف شاب وشابة يكادون لا يفقهون من تراث آبائهم إلا أنهم شريون عرب متأخرون ، وأن انتسابهم إلى أولئك الآباء يزيهم ؛ ذلك لأنهم لم يقرأوا ولم يسمعوا شيئا يكبر ذلك التراث في نفوسهم ويربط بينهم وبين أبناء عموماتهم في الوطن الأول برباط الدين والقومية .

• لقد تنبه بعض هؤلاء الآباء - على أميتهم - إلى ضرورة تثقيف أبنائهم بثقافتهم

(١) رأينا أن ننشر هذه المذكرة هنا لأنها تذكرنا بإخوة لنا يجب أن نبرهم ونتمهد شئونهم . ونحن بصدد استقصاء نشاط الجماعات الإسلامية هناك ، ونرجو أن نوافي به أسرة « المسنون » في أعداد السنة القادمة إن شاء الله .

العربية فأنشأوا كتاتيب واستدعوا لها أساتذة من الوطن ولكنهم أخفقوا في تعزيزها فآلت إلى الإقبال لافتقارهم إلى التنظيم والتوجيه ، وقصورهم عن القوة التي تؤلف بينهم وتنظم تعاونهم على إنشاء معاهد تربي ناشئتهم ، وهذه القوة قاصرة على النضج الثقافي والتفرغ للعمل ، وقد أبنت في مقدمة هذه الكلمة أنهم هاجروا أميين وشغلهم الحياة الدنيا عن تفقد أبنائهم .

• إن التعليم الإجباري في أمريكا يوجب على التلميذ أن يتعلم نهائياً والكتاتيب تعلم اللغة ليلاً ، وليس في طوق التلميذ أن يدرس ليله ونهاره ، من أجل هذا يفقر الآباء لتأسيس معاهد وفق مناهج التعليم الحكومي ليقصر التلميذ على معهد واحد ، وحينئذ نستطيع أن نشقف أبناءنا الثقافة التي نريدها في غضون التعليم الإجباري كما يفعله (الإرساليون) الأمريكيان واليسوعيون عندنا .

• لذلك رأيت بدافع غيرتي على دموع الآباء خلف الأبناء وحرصهم على تراثهم من أن يزول بزوالهم ، وبدافع غيرتي على أموالهم الطائلة أن تذهب بإهمالنا إياهم . وفي مقدور هذه الأموال أن تبعث أمة لو عنيينا بالحرم عليها بتثقيف الأبناء وبخدمة الدين في أنفسهم وعقولهم — لذلك رأيت أن أقدم إليكم بهذا لتشاركوني العطف على هؤلاء الأبناء الذين سيكونون عدة لنا من وراء البحار .

• إن الثقة في نفوس المهاجرين بقيادة الوطن وساسته كادت تتلاشى بعد نكبة فلسطين ؛ لذلك نرى أن الإجهاز على تلك الثقة بالوطن ذاته بإهمالنا إياهم في تفقد شئونهم وتعهدهم أبنائهم ليس من صالحنا ، بل لعله خسارة كبرى يعنى بها العربي المسلم في بلاده لمسيس حاجته إلى تركيز دعاية تحميه في الغرب من دسائس الغرب ؛ وخير دعاية لنا أبنائنا وبناتنا تحت سماء الغرب .

• ليس المهاجرون في حاجة إلى المال ولكنهم في حاجة إلى إخلاصنا إبقاء على الثقة في نفوسهم ، وإلى توجيهنا إياهم القائم على ذلك الإخلاص .

• قال المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق في خطاب ألقاه على عشرات الآلاف من مستمعيه في حفل أقامه المهاجرون العرب يوم إعلان أمريكا للحرب على ألمانيا قال : « إن الولايات المتحدة لتفخر بأن في طياريتها ألفاً وسبعمئة طيار من أصل عربي . » من هذا وغيره تعلمون مقدار ما نعلق على أبنائنا المهاجرين من أهمية وما نعقد عليهم من آمال !

● ولقد حفزني لهذا الاقتراح والعمل على تنفيذه بكل قواى منذ خمس سنوات أنه عمل يسير بنا وشيكا إلى تعزيز ديننا وقوميتنا في بلاد تتأثر بالحق من وراء الدعاية القائمة على الحق (١).

● أن إنقاذ هؤلاء من تربيهم في دين وقومية أجنبية عنا يتوقف على تأسيس معهد ثقافى عربى رئيسى فى أهم مدن العالم الجديد يتفقد شئون المهاجرين ويتعهد أبناءهم وبناتهم بالثقافة العربية ، تقوم بتأسيسه بعثة من خير رجالنا علما وإخلاصاً تشعر المهاجرين باهتمام أمتهم وقادتهم والفائمين على الأمر فى الوطن الأم بشئون أبنائهم المهاجرين والحرص على أموالهم وأنسألمهم .

● تخرج هذه البعثة معززة بالدعاية من علماء الأزهر ورجال جامعة الدول العربية وحكومات العرب بالكتابة إلى سفرائها فى العالم الجديد ليعززوا البعثة بالقوة والتأييد ، ثم تطوف هذه البعثة على المهاجرين فتلقى المحاضرات وتجمع الفتيان والفتيات وتلقى فى روعهم اهتمام الأمة العربية بهم ، ثم تؤسس لهم أندية وتسن لهم أنظمة لأنديتهم هذه ، وتعدم بتعهد محافلهم وتعزيز نشاطهم الأدبى ثم تتركز البعثة فى العاصمة وتعمل على إنشاء معاهد ثقافية حيث تمس الحاجة إلى ذلك .

● ليس الأجانب بأقدر منا على الدعايات لدينهم وقومياتهم بالعلم ونشر ثقافتهم لأنهم يدعون لقومياتهم فى رعاياهم أجانب عنهم ، أما نحن فإنما ندعو لقوميتنا فى أبنائنا المغتربين عنا وهذا ما يوفر علينا كثيراً من المشقة والجهد اللذين تعانيهما الإرساليات الأجنبية بين ظهرانينا .

(١) قد قرأ الأستاذ السيد محمد على الحوماني على قابلية شعوب تلك البلاد للتأثر بالحق إلى حد كبير ، ولكننا نحب أن نقرر هنا أن سياسة أمريكا التى نعتبر هذه الشعوب مشغولة عنها ولاريب ، سياسة لا تتأثر بغير مصالحها التى لا حد لها ، ولا بأس فى ذلك أن تفضى العين عن جرائم شريكها أو مورثها إنجلترا ، أو أن يفر د على يدها وعينها قرابة مليون لاجئ من فلسطين !!

في أفق العالم الإسلامي

القدس :

كان لاجتماع مجلس وزراء المملكة الأردنية الهاشمية في القدس وقع كريم في العالم الإسلامي جميعه . ونحن إذ نشكر له هذه الخطوة في تحدى إسرائيل وإعلان مكانة القدس لديها ، نرجو أن تتبعها الخطوات العملية الأخرى من الحكومة الأردنية وسائر الحكومات العربية الإسلامية التي تشاركها أمام الله وأمام الشعوب العربية والإسلامية مسئولية المحافظة على القدس — نقصد ما بقي منها بيد العرب — فضلا عن استرداد ما اغتصبه اليهود المعتدون منها ومن كل شبر من فلسطين المقدسة .

إن اليهود لم يقصروا في الإعلان في كل مناسبة عن نياتهم نحو القدس ، وعقيدتهم سافرة في إقامة هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى ، وسياستهم دائما هي سياسة الأمر الواقع ، فإذا أعددتنا لمواجهة كل طارئ ؟ على الحكومات أن تستعدا ! . .

وعلى الشعوب أن تذكر واجبها ، وعلى كل مسلم أن يفهم أن حماية المسجد الأقصى والأرض المباركة حوله فرض عليه ! . .

ليبيا :

أعلن إبرام معاهدة بين ليبيا وبريطانيا تنشر من نصوصها مايلي :

المادة الأولى — يتعهد الطرفان بقيام السلام والصداقة والتحالف بينهما .

المادة الثانية — إذا اشتبك أحد الطرفين الساميين المتعاقدين في حرب أو في نزاع مسلح ؛ فإن الطرف الآخر يسارع بمساعدته — وفقا لما هو وارد في المادة الرابعة — وذلك كإجراء من إجراءات الدفاع الجماعية . وفي حالة قيام خطر عدوان عاجل على أحد الطرفين الساميين المتعاقدين فإنهما يسارعان بتفسيق الوسائل الضرورية للدفاع .

المادة الثالثة — يعترف الطرفان المتعاقدان بأنه من مصلحتهما المشتركة أن يكفلا وسائل دفاعهما المشترك ؛ وأن يتأكدا من أن بلديهما في موقف يكفل لهما القيام بدوريهما في المحافظة على السلام الدولي والأمن . وفي سبيل هذا الهدف يقدم كل طرف من الطرفين المتعاقدين إلى الطرف الآخر جميع التسهيلات والمساعدات التي في مقدوره وفقا لما يتفق عليه في حينه . وفي مقابل التسهيلات التي يقدمها جلالة ملك ليبيا إلى القوات البريطانية في ليبيا ، تقدم جلالة ملكة بريطانيا إلى جلالة ملك ليبيا مساعدات مالية ؛ وفقا للشروط المتفق عليها .

المادة الرابعة — تؤكد عدم تعارض المعاهدة مع ميثاق الأمم المتحدة ، أو مع ميثاق الجامعة العربية ، أو مع أية معاهدات أخرى مع ليبيا .

المادة الخامسة — خاصة بإجراءات التصديق على المعاهدات .

المادة السادسة — مدة المعاهدة عشرون عاما إلا إذا اتفق الطرفان المتعاقدان على تعديلها قبل ذلك ، وعلى كل حال فإنها قابلة للتعديل بعد عشر سنوات . وتؤكد تلك المادة كذلك اعتراف الدولتين بالتزاماتهما الخاصة بالأمم المتحدة .

المادة السابعة — تعالج الخلاف على تفسير المعاهدة بإحالته إلى محكمة العدل الدولية .

وتنص الاتفاقية العسكرية على ما يأتي :

المادة الأولى — تنص على أن الطرفين يجتمعان من وقت لآخر لتنسيق التدابير اللازمة للتأكد من أن قواتهما العسكرية تتمتع بالكفاءة الضرورية والتعاون اللازم فيما بينهما ، والتوافق في التدريب والعتاد والتسليح .

وتتعهد حكومة المملكة المتحدة باستخدام نفوذها لتسهيل تزويد القوات الليبية بالأسلحة والذخيرة والمعدات من بريطانيا .

وتؤكد هذه المادة « لا يوجد شيء » في هذا الاتفاق يلزم القوات المسلحة الليبية بالقتال خارج أراضي ليبيا .

المادة الثانية — تكفل تمتع بريطانيا بتسهيلات في أراضي ليبيا ، كما تكفل تعهد بريطانيا باحترام استقلال وسيادة ليبيا واحترام قوانينها والامتناع عن أي تأثير سياسي داخلي .

المادة الثالثة — تتحدث بصفة عامة عن المباني والأراضي التي ستستخدمها القوات البريطانية في ليبيا ومواعيد الجلاء عن كل منها كما هو مبين في جدول مرفق بالمعاهدة .

المادة الرابعة — تكفل لبريطانيا الرقابة الكاملة على الطائرات والسفن والسيارات التي تدخل أو تخرج من المناطق التي تحتلها القوات البريطانية في ليبيا .

وتلزم الحكومة الليبية بمراقبة الطائرات والسفن والسيارات التي تدخل أو تخرج من المناطق المتاخمة للمناطق التي تحتلها القوات البريطانية .

المادة الخامسة — تعطى لبريطانيا حق المرور في أراضي ليبيا ، وحق مد الأنابيب وشق المجاري والترع والمصارف ، ومد الطرق الحديدية والأسلاك الهوائية والأرضية في الأراضي الليبية .

المادة السادسة — تعطى لبريطانيا الحق — بعد موافقة الحكومة الليبية في كل حالة — في شق الطرق وإقامة الكبارى وتحسين الموانئ والبوغازات والأرصفة الليبية .

المادة السابعة — خاصة بحق بريطانيا في استخدام التليفونات والتلغراف والإذاعة الليبية وحق إقامة محطات إذاعة جديدة .

وفيما يتعلق بالاتفاق المالي فإنه مؤلف من خمس مواد هي :

المادة الأولى — خاصة بالأهداف العامة للاتفاق .

المادة الثانية — تنص على أن تقدم بريطانيا لليبيا في السنوات المالية الخمس الأولى ، أي من أول أبريل ١٩٥٣ إلى ٣١ مارس ١٩٥٨ مبلغ مليون جنيه استرليني كل عام تمنح للهيئات القائمة بالفعل في أول أبريل ١٩٥٣ ، ومبلغ ٢,٧٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني طوال المدد كلها — لمساعدة الميزانية الليبية .

المادة الثالثة — خاصة بالإجراءات التشريعية لهذا الاتفاق .

المادة الرابعة — خاصة باستمرار الاتفاق بعد انتهائه .

المادة الخامسة — خاصة بأن مدة الاتفاق عشرون عاماً .

ونظمتنا في غنى عن التعليق على هذه المعاهدة التي قيدت بها ليبيا نفسها بكل قيد ، وأصبحت بها حربة في جنب العالم الإسلامي في وقت تكافح فيه كل أجزائه لتحطيم قيودها .

محمد علي ونهر :

عقد السيد محمد علي رئيس وزراء الباكستان مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن مناقشاته مع البانديت

جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند بشأن المشاكل القائمة بين الباكستان والهند . فقال إن التقدم الذي أحرزته هذه المحادثات لم يكن كبيراً كما كان يتوقع .

وقال السيد محمد علي إنه يتفق مع البانديت نهرو إلى حد ما بشأن تصريحه الذي أدلى به ، والذي قال فيه : إن النزاع بشأن ولاية كشمير ليس أقرب إلى التسوية مما كان .

وأضاف السيد محمد علي قائلاً : « وإذا أحرزنا تقدماً كبيراً في مقابلتنا القادمة في نيودلهي ، حوالى آخر أغسطس وأوائل سبتمبر ، فإننا قد نطلب إلى مجلس الأمن أن يؤجل استئناف المناقشات بشأن كشمير .

ولنا ندري إلى متى تمكبر الهند في الحق الواضح وتهرب من الاستفتاء الحر الذي تردد في قرارات مجلس الأمن وأبدت باكستان كل استعداد لتسوية من جانبها ظروف حربته ؟ لقد استمعنا إلى نهرو في حديثه إلى الصحفيين أثناء مسوره بالقاهرة ، وكانت حجته حين تعرض لقضية كشمير واهية ، ومناقضة للكثير الذي رددته حول المعاني الإنسانية التي بدأ حديثه بها . وخير للهند أن تنزل عن عنادها إذا كانت حريصة على إقرار الحق في ذاته ، وعلى إرضاء خمسمائة مليون من المسلمين يرقبون موقفها من باكستان بكل قلوبهم وعواطفهم .

أخبار متفرقة

● انتعشت التجارة بين الصين الشيوعية وبريطانيا أخيراً حتى نقلت السفن البريطانية إلى الصين الشيوعية خلال الشهور الثلاثة من هذا العام بضائع تعادل ما نقلته خلال الشهور الثلاثة الأولى من العام الماضي اثنتي عشرة مرة .

وقد علقت لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي الفرعية التي يرأسها السناتور جوزيف مكارثي للتحقيق في النشاط الشيوعي على هذا بقولها « إن هذه السياسة التجارية التي تنبمها حليفاتنا والتي لا يمكن الدفاع عنها بأي حال من الأحوال قد جعلت جهودنا الحربية التي نبذلها في كوريا أكثر صعوبة وأدت إلى زيادة باهظة في عدد الضحايا سواء من الأمريكيين أم من غيرهم » .

● بعثت الحكومة الإسرائيلية إلى الحكومة الروسية بمناسبة استئناف العلاقات بين البلدين بعد خمسة شهور من قطعها برسالة جاء فيها : إن حكومة إسرائيل تفتنم هذه الفرصة فتذكر ردها المؤرخ ٨ ديسمبر سنة ١٩٥١ على مذكرة وزارة الخارجية الروسية في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٥١ وهو الرد الذي جاء فيه : إن إسرائيل لم توافق قط ولن توافق على تأييد تنفيذ أو إعداد أي عمل من الأعمال العدوانية ضد الاتحاد السوفيتي أو غيره من الدول المحبة للسلام .

● من أبناء كولومبو أن السلطات البريطانية اتخذت إجراءات مشددة لفرض الرقابة على ما ينشر في الصحف في سيلان خاصاً بتأييد مطالب مصر ضد الاستعمار البريطاني .

● في خطاب المستر جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية على أثر توقيع الهدنة في كوريا قال : للمرة الأولى في التاريخ تقف مؤسسة دولية في وجه معتد لتقابل قوته بالقوة ، ولقد صد المعتدى الذي كان منتصراً في أول الأمر وأصبح بعد الهدنة يسيطر على مساحة أقل مما كان عند بدء العدوان ، ثم قال : لقد اقرضت قوات كوريا الشمالية تقريباً كما خسرت قوات كوريا والصين الشيوعية مليونين من الأرواح ، ثم نادى أخيراً بتعبئة الموارد الروحية والمادية في سبيل السلام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات العدد العاشر

صفحة	
١	للتحرير ركائز السلام
٧	لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة الحج
١٩	لأبي نعمان المهاجر من أسرار الحج والتضحية والعبد
٢٢	لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي دولة القرآن
٢٩	للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي الدستور الإسلامي
٣٩	للأستاذ صيد قطب حاجة البشرية كلها إلينا
٤٤	للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى من فقه القرآن والسنة
٤٨	للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوي الإسلام والعلاقات الدولية
٥٢	للتحرير خاطرة : صفحة من السيرة
٥٣	للإمام الشهيد حسن البنا أيها الإنسان ما أنت ؟
٥٥	من وزارة المعارف المصرية تقرير عن « المسلمون »
٥٦	للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام سبعيات فكر
٥٨	للأستاذ علي أحمد باكثير البيت الفتيق (قصة تمثيلية)
٦٧ هل علمت
٦٨	للأستاذ الدكتور أحمد الناقه حج الصيف
٧٢ ندوتنا
٨٠	للأستاذ حميدة قطب لا إله إلا الله
٨٤ باب السكتب : نقد وتعريف
٩١	للأستاذ البهي الخولي مع العارفين : في الدعاة
٩٦	للأستاذ محمد محمود الزبيدي الببل (شعر)
٩٨	للأستاذ محمد علي الحوماني مهاجرونا العرب في أمريكا
١٠١ في أفق العالم الإسلامي
١٠٤ الفهرس